سلسلة السيرة النبوية لكل الأعمار :

(7)

# غـــــزوة مؤتـــــه

إعداد الدكتور

رجب محمود بخيت

دار العلم والإيمان

للنشر والتوزيع

239

ب . ر

رجب محمود بخيت ،.

السيرة النبوية لكل الأعمار(غزوة مؤته) / رجب محمود بخيت.- ط1.- دسوق: دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع.

112 ص ؛ 17.5 × 24.5سم .

تدمك : 978 – 977 – 308 – 589 - 6

1. السيرة النبوية .

أ -العنوان .

رقم الإيداع :1972

الناشر : دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع

دسوق - شارع الشركات- ميدان المحطة – بجوار البنك الأهلي المركز

E-mail: elelm_aleman@yahoo.com

elelm_aleman2016@hotmail.com



2018

# الفهرس

# قائمة المحتويات

| تحرّك النَّبِيَ ص بالمسلمين سريعاً لإمداد أهل مؤتة: |
| --- |
| حزن النَّبِيَ ص وأصحابه على قتلى مؤتة: |
| الأحكام المستنبطة من هذه الغزوة : |
| جواز تعليق الإمارة بشرط |
| جواز الاجتهاد في زمن النّبيّ ص |
| فضل خالد بن الوليد ا: |
| حكم عقر جعفر - ا - لفرسه |
| الحكم باستشهاد القادة الثلاثة ي |
| السّلْبَ قليلاً كان أو كثيراً للقاتل لا يُخَمّس |
| جواز الإعلام بموت الميت |
| معجزة إعلام النبي ص باستشهاد القادة : |
| مشروعية الحزن علي فقد عزيز وإقامة العزاء : |
| مشروعية صنع الطعام لأهل الميت : |
| إظهار الحزن ثلاثاً : |
| - جواز بكاء المرأة على زوجها المتوفي: |

| - زواج أبي بكر الصديق من أسماء بنت عميس: |
| --- |
| مشروعية الرثاء : |
| الدروس المستفادة: |
| أهمية معركة مؤته : |
| - أخلاق الحرب في الإسلام ( الوصايا التي زود بها الحبيب محمد ص جيش مؤتة) : |
| اكرام النبي - ص - لآل جعفر: |
| - حب الشهاد باعث للتضحية: |
| من فقه القيادة: |
| - تموين الجيش الإسلامي، وتسليحه: |
| مقاييس الإيمان وأثرها في المعارك: |
| - التقدير والإكرام والإعجاب الذي حظي به جيش مؤتة من رسول الله ص : |
| - مواساته ص لأسر الشّهداء: |

| الفوائد التي اكتسبها المسلمون من نتائج غزوة مؤتة: |
| --- |
| سرية ذات السلاسل: |
| الأحكام المستنبطة : |
| جواز تأمير المفضول على الفاضل |
| مزية أبي بكر على الرجال، وبنته عائشة على النساء |
| - تفضيل أبي بكر، ثُمّ عمر على جميع الصحابة |
| جواز التيمّم لمن يتوقع من استعمال الماء الهلاك |
| جواز صلاة المتيمِم بالمتوضّئين وجواز الاجتهاد في زمن النـــّبيَ ص |
| البعد عن الإمارة والرياسة |
| الدروس من هذه السرية : |
| - إخلاص عمرو بن العاص - ا-: |
| الاتحاد قوة والتنازع ضعف: |
| - عبقرية عمرو بن العاص: |
| سرية أبي حَدْرَد الأسلمي إلى الغابة |
| سرية أبي قتادة بن ربعي إلى بطن أضم : |

# السرايا والأحداث بين عمرة القضاء وغزوة فتح مكة

وقد وقعت عدد من الأحداث والسرايا بعد رجوع رسول الله ص من هذه العمرة هي كما يلي :

## سرية أبن أبي العوجاء السلمي ا إلى بني سليم

بعث النبي ص بعد عودته من عمرة القضاء سرية من خمسين فارساً إلى بني سليم جعل عليها ابن أبي العرجاء السلمي، فلما فصلوا من المدينة، خرج عين لبني سليم كان معهم إلى قومه فحذرهم، فجمّعوا واستعدوا للقتال؛ وحين وصلت السرية، ودعوا إلى الإسلام رفضوا واستكبروا وأحدقوا بالسرية فقتلوا عامة من فيها وأصيب ابن أبي العرجاء وسقط بين القتلى ثم تحامل ومن عاد إليه من بقايا سريته حتى بلغوا المدينة في شهر صفر سنة 8 هـ (1).

1) الواقدي- مغازي 2/ 741 بإسناده إلى الزهري، ابن سعد- الطبقات 2/ 123 ، البيهقي- دلائل 4/ 341.

## إسلام عمرو بن العاص - ا-:

وفي الأول من شهر صفر من السنة الثامنة للهجرة خرج عمرو بن العاص عامدا إلى الرسول ص ليسلم، فلقيه خالد بن الوليد وهو في الطريق إلى المدينة، يريد ما يريد عمرو، فقدما سويا على الرسول ص وبايعاه على الإسلام (2).

يقول عمرو بن العاص عن قصة إسلامه: لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق جمعت رجالاً من قريش، كانوا يرون رأيي ويسمعون مني، فقلت لهم: تعلمون والله إني أرى أمر محمد يعلو الأمور علواً منكراً، وإني قد رأيت أمراً، فما ترون فيه؟ قالوا: وماذا رأيت؟ قال: رأيت أن نلحق بالنجاشي، فنكون عنده فإن ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشي، فإنا أن نكون تحت يديه أحب إلينا من أن نكون تحت يدي محمد، وإن ظهر قومنا، فنحن من قد عرفوا، فلن يأتينا منهم إلا خير، قالوا: إن هذا الرأي، قلت: فاجمعوا لنا ما نهديه له، وكان أحب ما يهدى إليه من أرضنا الأدم(3)، فجمعنا له أدماً كثيراً ثم خرجنا حتى قدمناعليه، فو الله إنا لعنده إذ جاءه عمرو بن أمية الضمري، وكان رسول الله - ص -

2) الفتح الرباني 21/ 133- 136 ، ابن هشام في السيرة (3/ 384- 86) ،الواقدي ، مغازي (2/ 741/ 50)، ابن سعد- الطبقات 4/ 252.

3) الأدم: الجلد.

قد بعثه إليه في شأن جعفر وأصحابه، قال: فدخل عليه، ثم خرج من عنده، قال: فقلت لأصحابي: هذا عمرو بن أمية الضمري، لو دخلت على النجاشي وسألته إياه فأعطانيه، فضربت عنقه، فإذا فعلت ذلك رأت قريش أني أجزأت عنها(4)،

حيث قتلت رسول محمد،ص قال: فدخلت عليه، فسجدت له كما كنت أصنع، فقال: مرحباً صديقي، أهديت إلي من بلادك شيئاً؟ قال: قلت: نعم أيها الملك، قد أهديت إليك أدماً كثيراً، قال: ثم قربته إليه فأعجبه واشتهاه ثم قلت له: أيها الملك إني قد رأيت رجلاً خرج من عندك، وهو رسول رجل عدو لنا فأعطينه لأقتله، فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا، قال: فغضب، ثم مد يده، فضرب بها أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره، فلو انشقت لي الأرض لدخلت فيها فرقاً منه، ثم قلت له: أيها الملك، والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتكه، قال: أتسألنيأن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى لقتلهقال: قلت: أيها الملك، أكذلك هو؟ قال: ويحك يا عمرو أطعني واتبعه، فإنه والله لعلى الحق، وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده قال: قلت: أفتبايعني له على الإسلام؟ قال: نعم، فبسط يده فبايعته على الإسلام ثم خرجت إلى أصحابي، وقد حال رأيي عما كان عليه، وكتمت على أصحابي إسلامي ثم خرجت عامداً إلى رسول الله لأسلم،

---

4) اجزأت عنها: كفيتها.

فلقيت خالد بن الوليد، وذلك قبيل الفتح، وهو مقبل من مكة، فقلت: أين يا أبا سليمان؟ قال: والله لقد استقام المنسم(5)، وإن الرجل لنبي، أذهب والله فأسلم، فحتى متى، قال: قلت: والله ما جئت إلا لأسلم. قال: فقدمنا المدينة على رسول الله - ص - فتقدم خالد بن الوليد، فأسلم، وبايع، ثم دنوت، فقلت: يا رسول الله - ص -، إني أبايعك على أن يغفر لي ما تقدم من ذنبي، ولا أذكر ما تأخر. قال: فقال رسول الله ص يا عمرو، بايع، فإن الإسلام يجب ما كان قبله، وإن الهجرة تجب ما كان قبلها، قال: فبايعته ثم انصرفت(6). وفي رواية قال: ...فلما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبي - ص - فقلت: ابسط يمينك فلأبايعك. فبسط يمينه، قال: فقبضت يدي قال: مالك يا عمرو؟ قال: قلت: أردت أن اشترط. قال: تشترط بماذا؟ قلت: أن يغفر لي. قال: أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله؟........) (7).

---

5) استقام المنسم: تبين الطريق ووضح .

6) صحيح السيرة النبوية، ص494.

7) مسلم، كتاب الايمان، باب كون الاسلام يهدم ماقبله رقم 121 ، الفتح الرباني 21/ 133- 136،ابن هشام ، السيرة (3/ 384- 86) ،الواقدي ، مغازي (2/ 741/ 50) ، ابن سعد- الطبقات 4/ 252.

## إسلام خالد بن الوليد - ا-:

ويقول خالد بن الوليد عن قصة إسلامه : (.....لما أراد الله بي من الخير ما أراد قذف في قلبي حُبّ الإسلام وحضرني رشدي، وقلت: قد شهدت هذه المواطن كلها على محمد، ص ليس موطنٌ أشهده إلا أنصرف وأنا أرى في نفس أني مُوضع في غير شيء وأن محمداً سيظهر، فلما خرج رسول الله - ص إلى الحديبية خرجت في خيل المشركين فلقيت رسول الله - ص - في أصحابه بعُسْفان، فقمت بإزائه وتعرضت له، فصلى بأصحابه الظهر آمناً منا، فهممنا أن نغير عليه، ثم لم يُعزَم لنا -وكانت فيه خيرة- فاطلع على ما في أنفسنا من الهموم فصلى بأصحابه صلاة العصر صلاة الخوف، فوقع ذلك مني موقعاً وقلت: الرجل مَمنوع! وافترقنا وعدلعن سَنَن خلينا وأخذ ذات اليمين، فلما صالح قريشاً بالحديبية ودافعته قريش بالرّواح قلت في نفسي: أي شيء بقي؟ أين المذهب إلى النجاشي؟ فقد اتبع محمداً، وأصحابه آمنون عنده، فأخرج إلى هرقل؟ فأخرج من ديني إلى نصرانية أو يهودية، فأقيم مع عجم تابعاً، أو أقيم في داري فيمن بقى؟ فأنا على ذلك إذ دخل رسول الله - ص - عُمرة القضَّية، فتغيبت فلم أشهد دخوله، وكان أخي الوليد بن الوليد قد دخل مع النبي - ص - في عُمرة القضية،

فطلبني فلم يجدني فكتب إليّ كتاباً فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد: فإني لم أرَ أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام وعَقْلُك عَقْلُك! ومثل الإسلام جَهَله أحد؟ وقد سألني رسول الله - ص - عنك فقال: أين خالد؟ فقلت يأتي الله به؟ فقال: ما مثله جهل الإسلام! ولو كان جعل نكايته وجدَّه مع المسلمين على المشركين، لكان خيراً له، ولقدمناه على غيره، فاستدرك يا أخي ما فاتك، فقد فاتتك مواطن صالحة.

قال: فلما جاءني كتابه نشطت للخروج، وزادني رغبة في الإسلام وسرني مقالة رسول الله. قال خالد: وأرى في النوم كأني في بلاد ضيقة جديبة، فخرجت إلى بلد أخضر واسع، فقلت إن هذه لرؤيا.....فلما قدمت المدينة قلت: لأذكرنَّها لأبي بكر. قال: فذكرتها فقال: هو مخرجك الذي هداك الله للإسلام، والضيق الذي كفت فيه من الشرك، فلما أجمعت للخروج الى رسول الله قلت: من أصاحب الى رسول الله؟ فلقيت صفوان بن أمية فقلت: ياأبا وهب، أما ترى مانحن فيه؟ إنما نحن أكَلَةُ رأس(8)، وقد ظهر محمد على العرب والعجم، فلو قدمنا على محمد فاتبعناه فإن شرف محمد على العرب، فأبى أشدَّ الإباء وقال: لو لم يبق غيري من قريش ما اتبعته أبداً. فافترقنا وقلت: هذا رجل موتور يطلب وتراً، قد قُتل أبوه وأخوه ببدر. فلقيت عكرمة بن أبي جهل فقلت له مثل الذي قلت لصفوان،

---

8) أي هم قليل يشبعهم رأس واحد، وهو جمع آكل.

فقال لي مثل ما قال صفوان، قلت: فاطو ما ذكرت من قُتل من أبائه فكرهتُ أذكِّره، ثم قلت: وما عليّ وأن راحل من ساعتي. فذكرت له ما صار الأمر إليه فقلت: إنما نحن بمنزلة ثعلب في جُحر، لو صُبّ عليه ذَنوب(9) من ماء لخرج. قال: وقلت له نحو مما قلت لصاحبيه، فأسرع في الإجابة وقال: لقد غدوت اليوم وأنا أريد أن أغدو، وهذه راحلتي بضحّ مناخة. قال: فاتّعدت أنا وهو بيأجج، إن سبقني أقام وإن سبقته أقمت عليه. قال: فادّلجنا سحراً فلم يطلع الفجر حتى التقينا بيأجج، فغدونا حتى انتهيناإلى الهَدَّة، فنجد عمرو بن العاص بها فقال: مرحباً بالقوم! فقلنا: وبك! قال مسيركم؟ قلنا: ما أخرجك؟ قال: فما الذي أخرجكم؟ قلنا: الدخول في الإسلام وإتباع محمد - ص -. قال: وذلك الذي أقدمني.

قال: فاصطحبنا جميعاً حتى قدمنا المدينة فانخنا بظاهر الحرّةركابنا، فأخبر بنا رسول الله - ص - فسُرّ بنا، فلبست من صالح ثيابي، ثم عمدت إلى رسول الله - ص -، فلقيني أخي فقال: أسرع فإن رسول الله - ص - قد أخبر بك فسُرّ بقدومك وهو ينتظركم. فأسرعت المشي فطلعت عليه، فما زال يتبسم إليّ حتى وقفت عليه، فسلمت عليه بالنبوة فرد علي السلام بوجهطلق، فقلت: إني اشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله.ص فقال: الحمد لله الذي هداك! قد كنت أرى لك عقلاً رجوت ألا يسلمك إلا إلى الخير.

---

9) الذنوب: الدلو العظيمة.

قلت: يا رسول الله قد رأيت ما كنت أشهد من تلك المواطن عليك معانداً عن الحق فادع الله أن يغفرها لي فقال رسول الله - ص -: الإسلام يجُب ما كان قبله، قلت: يا رسول الله، على ذلك؟ فقال: اللهم اغفر لخالد كلّ ما أوضع فيه من صدٍّ عن سبيلك. قال خالد: وتقدم عمرو، وعثمان، فبايعا رسول الله - ص -، وكان قدومنا في صفر سنة ثمان، فو الله ما كان رسول الله - ص - من يوم أسلمت يعدل لي أحد من أصحابه فيما حَزَبه(10).وفي إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد ي دروس ولطائف وعبر منها:

- غضبة النجاشي تدل على صدق إيمانه وحبه لرسول الله - ص -، وحبه للمسلمين، وصدق النجاشي كان له أثر في إيمان عمرو بن العاص ودخوله في الإسلام، وبذلك نال النجاشي أجراً عظيماً حيث جذب إلى الإسلام رجلاًمن عظماء قريش(11).- كان إسلام عمرو بن العاص نصراً كبيراً للإسلام، والمسلمين فلقد سخَّر عقله الكبير ودهاءه العظيم لصالح دعوة الإسلام، وخسر الكفار بإسلامه خسارة كبيرة لأنهم كانوا يُعدُّونه لعظائم الأمور التي تحتاج إلى دهاء ومقدرة على التأثير

10) البداية والنهاية (239،240/4) ؛ التاريخ الاسلامي (95/7).
11) التاريخ الإسلامي (90/7).

وخاصة فيما يتعلق بعدائهم مع المسلمين(12).- أدرك خالد بن الوليد أن العاقبة لرسول الله - ص - وتأمل قوله: لقد شهدت هذه المواطن كلها على محمد

فليس موطن أشهده إلا انصرف وأنا أرى في نفسي أني موضع في غير شيء، وأن محمداً سيظهر(13) وفي هذا عبرة لكل الذين يحاربون الإسلام(14).- الاهتمام بالبشر طريق من طرق التأثير عليهم وكسبهم إلى الصف المؤمن ولذلك قال رسول الله للوليد بن الوليد: ما مثل خالد يجهل الإسلام ولو كان جعل نكايته وجدّه مع المسلمين على المشركين لكان خيراً له ولقدمناه على غيره، فكانت لهذه الكلمات البليغة أعظم الأثر في تحول قلب خالد وتوجهه نحو الإسلام، وقد كان رسول الله - ص - عليماً في مخاطبة النفوس والتأثير عليها، فلقد أدرك مواهب خالد في القيادة والزعامة فوعد بتمكينه من ذلك وتقديمه على غيره في هذا المضمار، ومدح - هـ - سداد رأيه ورجاحة عقله، ونضوج فكره، فانتزعه بهذه الكلمات كل الجوانب التي تجعل خالداً يظل على الشرك الذي لم يكن مقتنعاً به إلا بمقدار ما حصل له فيه من قيادة وتصدر،

---

12) التاريخ الإسلامي (91/7).
13) صلح الحديبية لأبي فارس، ص263.
14) التاريخ الإسلامي (95/7).

فلما كان ما هيأه له المشركون سيحصل له إذا دخل في الإسلام، واطمأن بأنه لو أسلم لن يكون في آخر القائمة ولن يكون مهملاً شجعه ذلك على التغلب على وساوس إبليس ورجح ما أطمأنت إليه نفسه من الميل إلى الإسلام فعزم على الدخول فيه، لقد كان إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد قوة للإسلام وضعفاً للشرك وكتب الله على أيديهم صفحات مشرقة من تاريخ المسلمين الجهادي أصبحت باقية في ذاكرة الأمة وتاريخها المجيد على مر الدهور وكر العصور، توالي الأزمان(15).

15) التاريخ الاسلامي (97/7).

## سرية عبد الله بن غالب الليثي إلى بني الملوح

نتيجة للتحركات المشبوهة والمعادية من الأعراب المحيطين بالمدينة، فضلا عن قطعهم الطريق أمام الدعاة المسلمين، فقد قام رسول الله ص بحملة واسعة ومكثفة لتأديب هؤلاء الأعراب، قاد خلالها عدة غزوات، وبعث أصحابه في سرايا تأديبية، كان منها سرية بقيادة غالب بن عبد الله الليثي، وقوة بضعة عشر رجلا، إلى بني الملوح. القاطنين في منطقة الكديد الواقعة بين عسفان وقديد(16).وكانت مهمتها بناء على الأوامر الصادرة لهم من القيادة العليا هي مباغتة بني الملوح بشنِّ غارة مفاجئة ومركَّزة عليهم.

وكانت تلك هي الاستراتيجية التي اتبعها رسول الله ص في غزواته، وسراياه ضد الأعراب، استطاع من خلالها تحقيق النصر عليهم، وذلك يدل على ذكائه وشدة معرفته بأحوال الأعراب ونفسياتهم، فهم أشداء إذا استعدوا للقتال، وتأهبوا للدفاع عن أنفسهم، أما بمباغتتهم فتسهل السيطرة عليهم وإرعابهم.

16) ابن حجر، فتح (3/8). وقديد: موضع بين مكة والمدينة بين منزلتي أمج وعسفان، وهو ماء عين جارية عليها نخل كثير لابن محرز المكي (معجم ما استعجم -كتاب الكاف والدال).وقال الحموي: هو موضع على اثنين وأربعين ميلا من مكة (الحموي: معجم البلدان -باب الكاف والدال وما يليهما).
قال البلادي: والكديد يعرف اليوم باسم (الحمض) أرض بين عسفان وخليص على (90) ميلا من مكة على الجادة العظمى إلى المدينة، وسمي الحمض لكثرة نبات العصلاء فيها، وهي أرض تزرع عثريًّا يسقيها وادي غران، وأهلها زبيد من حرب. البلادي، معجم (263).

وكذلك تظهر في ذلك منهجية رسول الله ص التخصصية حيث يرسل لكل منطقة ولكل قوم من هم خبير ومتخصص بأحوالهم وغالبا ما يكون منهم.خرجت السرية ميممة شطر الهدف وفي منطقة قديد(17) أثناء مسيرهم التقوا برجل من قبيلة ليث يدعى الحارث بن البرصاء الليثي، فألقوا القبض عليه فقال محتجّا: "إنما جئت أريد الإسلام، ما خرجت إلا إلى رسول الله ص ".فرد عليه القائد: "إن كنت إنما جئت مسلمًا فلن يضرك رباط يوم وليلة، وإن كنت على غير ذلك فسنوثق منك" (18). ثم أمر بشد وثاقه، ودفع به إلى أحد أفراد السرية(19 )، وقال له: "امكث معه حتى نمرّ عليك، فإن نازعك فاحتز رأسه"(20).ثم انطلقوا في طريقهم حتى وصلوا منطقة الكديد عند غروب الشمس، فكمنوا في الوادي، ثم أرسلوا جندب بن مكيث الجهني ا أحد أفراد السرية للاستطلاع، واستكشاف أحوال القوم. يقول جندب ا: "فخرجت حتى آتي تلاً مشرفا على الحاضر(21)

---

17) قديد: ثرية جامعة، مذكورة في رسم الفرع، وفي رسم العقيق، وهي كثيرة المياه والبساتين، وسميت قديدا لتقدد السيول بها، وهو واد فحل من أودية الحجاز التهامية يأخذ أعلى مساقط مياهه من حرة "ذرة" فيسمى أعلاه ستارة، وأسفله قديدا، يقطعه الطريق من مكة إلى المدينة على نحو من (120) كيلوا مترا ثم يصب في البحر عند القضيمة، فيه عيون، وقرى كثيرة لحرب وبني سليم. انظر البكري، معجم (1054/3)، والبلادي، معجم (249).

18) ابن هشام، سيرة (610/2)، ابن سعد، طبقات (124/2) ،الفتح (129/21) ، الطبراني، المعجم (128/2).

19) ذكر الواقدي أنه يقال له: سويد بن صخر. الواقدي، مغازي (751/2).

20) الفتح (129/21)، الطبراني، المعجم (178/2).

21) الحاضر: القوم النزول على ماء يقيمون به، ولا يرحلون عنه. ويقال للمناهل المحاضر، للاجتماع والحضور عليها. قال الخطابي: ربما جعلوا الحاضر اسما للمكان المحضور. يقال: نزلنا حاضر بني فلان، فهو فاعل بمعنى مفعول، ابن الأثير نهاية -باب الحاء مع الضاد.

فأسندت فيه، فعلوت على رأسه، فنظرت إلى الحاضر، فو الله إني لمنبطح على التل إذ خرج رجل منهم من خبائه، فقال لامرأته: إني لأرى على التل سوادًا ما رأيته في أول يومي، فانظري إلى أوعيتك هل تفقدين منها شيئا، لا تكون الكلاب جرّت بعضها، قال: فنظر، فقلت: لا والله ما أفقد شيئا، قال: فناوليني قوسي وسهمين، فناولته، قال: فأرسل سهما، فو الله ما أخطأ جنبي فأنزعه فأضعه، وثبتُّ مكاني، قال: ثم أرسل الآخر، فوضعه في منكبي، فأنزعه فأضعه، وثبتُّ مكاني، فقال لامرأته: لو كان ربيئة(22) لقوم لقد تحرك، لقد خالطه سهماي لا أبا لك، إذا أصبحت فابتغيهما، فخذيهما، لا يمضغهما عليّ الكلاب. قال ثم دخل"(23). ويرجع جندب إلى أصحابه الذين وضعوا خطة الهجوم بناء على ملحوظاته التي ضمّنها تقريره عن مهمته التي أثبت من خلالها أن جند الإسلام الأوائل كانوا على قدر كبير من الشجاعة والقوة ورباطة الجأش، وقوة الاحتمال.

واتفقوا على شعار (أمت، أمت) كلمة تعارف بينهم(24).

---

22) الربيئة: هو العين والطليعة الذي ينظر للقوم لئلا يدهمهم عدوّ، ولا يكون إلا على جبل أو شــــرف ينظر منه. ابن الأثير: نهاية -باب الراء مع الباء.

23) ابن هشام (610/4).

24) كلمة التعارف، هو الشـعار المتفق عليه في أرض المعركة بين المقاتلين، حتى لا يضـرب بعضـهم بعضًـا عن طريق الخطأ خاصة وأن المسلمين والمشركين كانوا يتشابهون في المظهر الخارجي، وهو أسلوب متبع الآن في المعارك الحديثة. خطَّاب، الرسول القائد: (123) بتصرف.

وفي وجه السّحر وبعد أن اطمأن بنو الملوح وناموا، شنّوا عليهم هجوما فجريّا خاطفًا ومباغتًا أفقدهم توازنهم مما أمكنهم من السيطرة على المدافعين منهم بسهولة، حيث قتلوا بعضهم، ثم استاقوا ماشيتهم وتوجهوا قافلين بسرعة، حيث مروا بابن البرصاء وصاحبه فاحتملاهما معهم، ولكن الليثيين ما لبثوا أن نظموا صفوفهم بسرعة بعد زوال آثار الهجوم المباغت عنهم، وتبعوهم بقوة تعقُّبية كبيرة، حتى إذا ما أدركوهم في منطقة قديد ليس بينهم إلا الوادي فقط يقطعونه ليطبقوا عليهم بما لا قبل لهم به إذ بالعناية الإلهية تتدخل في آخر لحظة لإنقاذهم من الخطر المحدق بهم.

يقول جندب رضي الله عنه: "فأرسل الله الوادي بالسيل من حيث شاء تبارك وتعالى من غير سحابة نراها، ولا مطر، فجاء بشيء ليس لأحد به قوة، ولا يقدر أن يجاوزه، فوقفوا ينظرون إلينا، وإنا لنسوق نعمهم، ما يستطيع منهم رجل أن يجيز إلينا، ونحن نحدوها(25) سراعًا، حتى فُتناهم، فلم يقدروا على طلبنا"(26)(27). وقعت هذه السرية في صفر من السنة الثامنة للهجرة (28) ولقد أثبتت هذه السرية القوة، والجلد، ورباطة الجأش، والشجاعة النادرة،

---

25) نحدوها: نسوقها، حدا الإبل: زجرها وساقها. (القاموس: حدا).

26) ابن هشام (611/4).

27) الفتح (128/21-129)، الطبراني، المعجم (178/2-179)، وابن خياط، تاريخ (78)، وابن هشام، سيرة (609/4-610-611)، وابن سعد، طبقات (125/2-124)، والبيهقي، دلائل (299/4-298).

28) أحمد- المسند (الفتح الرباني 21/ 128) ، سيرة ابن هشام 4/ 341- 43، وابن سعد- الطبقات 2/ 124، أبو داود- السنن 3/ 128- 129، ، وكذلك الواقدي- مغازي 2/ 750- 752.

والتحكم في الأعصاب، والأحاسيس، التي كان يتحلى بها جند الحق والإيمان، وطلائع الجهاد الإسلامي، إن الروعة لم تكن تتجلى في قوة وجلد ذلك الجندي الشجاع المؤمن جندب بن مكيث ا فحسب، بل في رباطة الجأش العظيمة التي تميّز بها وهو يواجه سهمين قويين من رام قنّاص ماهر، استقرا في جسمه وخالطاه، ومع ذلك ثبت كالطود(29) ولم يتزعزع، وكأنه قطعة من التل الذي كان منبطحاعليه، حتى إن الأعرابي تراجع عن شكه واثقًا أن ما رماه لم يكن كائنًا حيّا، فلو كان كذلك لتحرك من مكانه على الأقل كما ذكر لزوجته. ولم يعلم ذلك الأعرابي أن الإيمان إذا تمكن من قلب الإنسان، فإنه يسمو به في روحانية عجيبة، وشفافية نادرة تسيطران عليه فتملكان عليه حسّه وأحاسيسه.إن قوة الإيمان تحرك في الجسم البشري قواه وطاقاته الكامنة، وتنفق فيه قوة عجيبة من التحكم والسيطرة والتحمل. وذلك ما كان عليه أصحاب النبي ص الأشداء على الكفر والكافرين، وهذه القصة إحدى الشواهد القوية على ذلك(30).

وقد تحققت في السرية بعض الكرامات التي يجعلها الله عز وجل لأوليائه الصالحين عندما يكونون في حاجة ماسة للعون الإلهي، فيمدهم بهذه الكرامات لنصرهم على أعدائهم وحمايتهم ممن يريد الشر بهم،

29) الطود: الجبل.

30) السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة ، ص 266

وهذا الأمر ليس قاعدة، وإنما يظهرها الله في بعض الأحيان لتكون عبرة وعظة وتثبيتا للمؤمنين إلى جانب مهمتها الأساسية. إن هذه المكرمة مع الفارق الكبير تشبه المعجزة التي أجراها الله عز وجل على يد نبيه موسى عليه السلام: قال الله تعالى: فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (61) قَالَ كَلَّا ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (62) فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ ۖ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (63) وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ (64) وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ (65) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ (66) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (67)[ سورة الشعراء: 61-67]

وقد تكررت مثل هذه الكرامات لبعض الصحابة مثل العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه، الذي جاز بجنده مياه الخليج العربي إلى جزيرة دارين، وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، الذي جاز هو وجيشه نهر دجلة إلى المدائن ففتحوها بإذن الله، إن هذه الكرامات هي من جنود الجبار عز وجل، يرسلها في الوقت المناسب لتكون نصراَ وتثبيتاً للمؤمنين، وخذلاناً للكافرين وما يعلم جنود ربك إلا هو(31).

31) السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة ، ص 267

## سرية كعب بن عمير الغفاري إلى أطلاح(32)

ففي شهر ربيع الأوّل سنة ثمان من مهاجر رسول الله ص ، (33) بعث النـــّبِيَ ص كعب بن عمير الغفاري، نحو ذات أطلاح من البلقاء"(34) في بعثة دعوية، مكونة من خمسة عشر رجلاً، حتّى انتهوا إلى ذات أطلاح من أرض الشام، فوجدوا جمعاً من جمعهم كثيراً ، وكانوا من قضاعة(35)، ورأسهم رجل يُقال له: "سدوس"(36).

"فدعوهم إلى الإسلام، فلم يستجيبوا لهم، ورشقوهم بالنبال"(37) استفزازاًلهم، واستدراجاً للقتال غير المتكافئ بين الطرفين، نظراً لكثرةالقضاعيين، واستعدادهم المبكر(38)".

32) ذات أطلاح موقع بأطراف الشـــام من وراء وادي القرى وهو في نواحي مؤتة كما يُفْهَم من الأحداث . ياقوت الحموي ، معجم البلدان 218/1.

33) أرَّخها الواقدي، وابن سعد، بشهر ربيع الأوَّل سنة ثمانٍ من الهجرة ، وتبعهما في ذلك نقلاً عنهما كُلٌّ من: "ابن سيد الناس، والشامي

وذكرها الطبري نقلاً عن الواقدي في أحداث السنة الثامنة، ولكن دون تحديد الشهر".وذكرها ابن كثير - أيضاً - عن الواقدي دون تحديد تاريخها، ولكنَّه ذكرها قبل غزوة مؤتة مباشـرةً". أنظر : الواقدي ، المغازي 752/2، ابن ســعد ، الطبقات 127/2 ، ابن ســيد الناس ، عيون 197/3، الشــامي ، ســبل 227/6 ، الطبري ، تاريخ 29/3 ، ابن كثير ، البداية 240/4 - 241.

34) البلقاء، إقليم من أرض الشام في المملكة الأردنية الهاشمية، وهو الإقليم الذي تتوسطه مدينة عمان عاصمة الأردن، ومن أشهر مدن هذا الإقليم: عمان، والسَّلْط ومادبا والزرقاء والرصيفة، يتَّصِل به في الجنوب إقليم الشراة الذي قاعدته معان، وفي الشمال إقليم حوران. البلادي ،المعجم،ص 49

35) قُضَاعة - قبيلة كبيرة البطون المشهورة من قبائل العرب. أنظر : القلقشندي، قلائد الجمان ،41-42.

36) ابن سعد ، طبقات 127/2 ، ابن حجر، الإصابة 301/3 ، الطبري ، تاريخ 29/3

37) الواقدي (مغازي 753/2)

38) يذكر الواقدي في رواية أخرى، أنه حينما دنا كعب وأصـــحابُه من القوم، رآهم عيناً لهم، فأخبرهم بقلَّة أصحاب النَّبِيِّ صلَّى الله عليه وسلّ

َ

م، فجاءوا على الخيول فقاتلوهم (مغازي 753/2).

ولكن الصحابة - ي- اضطروا في النهاية للدِّفاع عن أنفسهم، فقاتلوا قتالاً شديداً مريراً، ولكن كثرة القضاعيين لم تتح لهم الفرصة في قتالِ متكافئٍ فسقطوا شهداء على أرض ذات الطلح بعد أن سطَّروا بدمائهم الزكية ملحمة جهادية رائعة ، وأفلت منهم رجل جريح في القتلى، فلمّا برد عليه الليل تحامل(39) حتَّى أتى رسول الله ص فأخبره الخبر، فشقَّ ذلك عليه، وهمّ بالبعث إليهم، فبلغه أنَّهم قد ساروا إلى موضع آخر فتركهم(40)".

لقد كشفت هذه السرية عمَّا تخبئه الوثنية مِن غِلٍّ وحقدٍ دفينٍ على الإسلام وأهله، غِلّ عصف بكُلِّ المبادئ، وحقد ألغى القِيَم الإنسانية.فهؤلاء قوم هداة جاءوا لنشر الخير والسلام بين مَن قتلوهم، فكان جزاؤهم الغدر بهم، وقتلهم جميعاً بلا هوادة ولا رحمة.وقد يقول القائل: "إذا كان الأمر كذلك، فلِمَ لَمْ يتوقَّف النَّبِيّ ص عن دعوة الأعراب إلى الإسلام، طالما أنَّهم لا يحترمون القيم والمبادئ، ولا يمكن الوثوق بهم؟".

قلنا: "الدعوة إلى الله لا يمكن أن تقف في أرضِ ما، أو تتعثر بسبب ما يعترض طريقها من بعض الحوادث التي تعيق تقدمها".

---

39) تحامل: تكلَّف ما لا يطيق. (القاموس: حمل).

40) الواقدي (مغازي 753/2)

وهناك حقيقة يجب ألاّ تغيب عن أذهاننا، وهي أنَّ طريق الدعوة إلى الله تعالى منذ بدأت حتى يرث الله الأرض ومَن عليها، لم يكن في يومٍ من الأيام مفروشاً بالورود، فكان لابدَّ من تقديم التضحيات في طريقها الطويل الشاق".

وقد وضَّح النَّبِيّ ص هذه الحقيقة للصحابة - رضي الله تعالى عنهم - حاثّاً إياهم على الصبر والتحمّل، وتقديم التضحيات، وذلك منذ فترة مبكرةجداً، وبالتحديد في مكة حينما أثقلت قريش من وطئتها على المسلمين المستضعفين في مكة، فجاءوا يستنجدون بالنَّبِيَ ص (41).

## سرية شجاع بن وهب إلى جمع من هوازن

وفي ربيع الأول من العام الثامن للهجرة بعث النبي ص سرية من أربعة وعشرين رجلا بإمرة شجاع بن وهب إلى جمع من هوازن «بالسيّ» من أرض بني عامر ناحية «ركبة» فأغاروا عليهم، فأصابوا نعما كثيرا وشاء وسبيا وعادوا بعد خمس عشرة ليلة، وجاء في أثرهم وفد القوم إلى المدينة وأعلنوا إسلامهم فرد المسلمون السبي (42).

---

41) غزوة مؤتة والسرايا والبعوث النبوية الشمالية ، ص 227

42) البخاري- الصحيح (الفتح حديث 3134)، (حديث 4338)، مسلم- الصحيح 3/ 1368 (حديث 1749)، الواقدي 2/ 753- 754 ولم يذكر اشتراك عبد الله بن عمر فيها كما لم يذكر ما أصاب المشاركين في السرية من الغنيمة، وانظر ابن سعد 2/ 127 من رواية الواقدي، ابن كثير- البداية والنهاية 4/ 267.

## سرية زيد بن حارثة ا إلى مدين(43)

لم تُحَدِّد المصادر تاريخاً محدَّداً لهذه السرية ،ولكن يمكن أن نستنبط لها تاريخاً تقريبياً من خلال سير أحداث السرية النبوية المباركة، حيث يمكننا الجزم بأنَّ هذه السرية كانت قبل غزوة مؤتة بلا شك، وذلك في فترة هدنة الحديبية، وهي الفترة التي زاد فيها نشاط السرايا والبعوث النبوية في المنطقة الشمالية من الجزيرة".إذ أنَّ قائد السرية زيد بن حارثة - ا، كان من قادة مؤتة الذين استشهدوا بها(44).فقبل معركة مؤتة الشهيرة، بعث رسول الله ص حِبَّه ومولاه زيد ابن حارثة - ا - إلى منطقة مَدْيَن، وبالتحديد إلى بلدة مقنا على ساحل البحر الأحمر، في سرية لم تذكر الروايات قوّتها".

43 ) مَدْيَن : تقع غرب تبوك، بينها وبين خليج العقبة، فإذا كان المقصـود مدينة شـعيب فهي تُعْرَف اليوم باسم البدع، وتقع على (220) كيلاً من تبوك، يصـل بينهما طريق معبَّد، أمَّا إذا كان المقصـود ديار القبيلة فإنَّ الموقع والحدود تتأثر بسـعة انتشـار تلك القبيلة وتقلُّصـها، فإذا ثبت أنَّهم من جذام كانت تمتد من ساحل البحر إلى قُرب تبوك، ثُمَّ تدخل في الشراة شمالاً، وتقرب من ضبة جنوباً".

وأرض مدين تُحَدُّ من الشرق بسراة حسمى، ومن الغرب بالبحر، ومن الشمال حقل أو العقبة، أمَّا من الجنوب فلا تتجاوز ضِبة أو دونها والبِدع، قرية تتوسط أرض خالية من العمران، فأقرب قرية تبعد عنها قرابة ستين كيلاً، وهي - أيضـاً - تتوسـط وادي عفال الخالي من الزراعة والحياة إلاَّ من هذه القرية، وهي ذات زراعة لا بأس بها على آبار ضخ، وفيها سكان وحوانيت ومقاهٍ، وسكانها الحويطات، وجُلُّهم من المساعيد".

البكري: معجم 1201/4، الحموي: معجم 77/5 - 78، البلادي: رحلات في بلاد العرب، في شـمال الحجاز والأردن 138،131،131،123.

44 ) حيث أن سرية مؤتة قد أرسلت في جمادى الأولى سنة ثمان الهجرية فمن المتوقع أن يكون تاريخ إرسال سرية زيد هذه في ربيع الآخر من ذلك العام حيث أن زيد بن حارثة استشهد في مؤته كما هو ثابت في المصادر.

واستطاع زيد - ا - التوغُّل في تلك المنطقة البعيدة عن قاعدة المسلمين ومناطق نفوذهم، ونجح - ا - في الإغارة عليهم ، فأصاب منهم سبايا، منهم ضميرة" وأخوه، وأُمّه، وأبوه، فجاء بهم زيد - ا - إلى رسول الله ص ".

فأمر رسول الله ص ببيعهم، فخرج إليهم وهم يبكون، فقال لهم: "مِمّ تبكون؟ قالوا: "فرّقنا بينهم وهم إخوة". فقال رسول الله ص: "لا تفرَقوا بينهم، بيعوهم جميعاً" . كما أنَّ النَّبِيّ ص مرَّ بأُمّ ضميرة وهي تبكي، فقال: "ما يبكيكِ ؟ قالت: "يُفَرَّق بيني وبين ابني". فقال: "لا يُفَرّق بين الوالدة وولدها، ثُمّ أرسل إلى الذي ضُمَيرة عنده فدعاه فابتاعه منه ببكر فوهبه بعد ذلك لعلي، قال: "فكان خازناً له، قال: وولد له"(45).

وذكرت المصادر، الكتاب الذي كتبه رسول الله ص إلى ضميرة، وفيه: "أنَّهم كانوا أهل بيت من العرب، وكان مِمَّن أفاء الله على رسوله فأعتقهم ، ثُمَّ خيَّر أبا ضميرة إن أحب أن يلحق بقومه فقد أمّنه رسول الله ص ، وإنَّ أحبّ أن يمكث مع رسول الله ص فيكون مع أهل بيته، فاختار أبو ضميرة الله ورسوله، ودخل في الإسلام، فلا يعرض لهم أحد إلاَّ بخير، ومَن لقيهم من المسلمين، فليستوصِ بهم خيراً، وكتب أُبَيُّ بن كعب""(46).

45 ) ابن حجر- فتح الباري (شـرح الحديث 4338)، الطبري- تاريخ 3/ 34، الواقدي- مغازي 2/ 777، ابن سعد- الطبقات 20/ 132.
ابن هشـام ، السـيرة 4/ 375- 6، وعن أحاديث التفريق هذه انظر: ابن حجر- الاصـابة 2/ 206، عبد الرزاق الصنعاني- المصنف 8/ 307، الألباني- صحيح سنن الترمذي 2/ 24- 25، أبو داود- السنن 3/ 144- 145 (حديث 2696)، الدارمي- السنن ص/ 327، البيهقي- السنن 9/ 126.

46 ) ابن حجر (إصابة 214/2، ابن سعد- الطبقات 20/ 132.

# غزوة مؤتة

اختلف الرواة والإخباريون والمؤرِّخون، ومَن نَقَلَ عنهم من المتأخرين مِمَّن كتب عن مؤتة (47) في هذه المعركة العظيمة: هل هي غزوة، أو سرية؟ فبينما وردت تسميتها في بعض الروايات بغزوة جيش الأمراء(48)، أطلق عليها بعضهم وقعة مؤتة(49)، فيما تردَّد آخرون بين كونها غزوة أو سرية(50)، على أنَّ أكثر أهل المغازي والسير على أنها غزوة (51)

وينفرد الواقدي بذكر السبب المباشر لهذه الغزوة، وهو أنَّ شرحبيل بن عمرو الغساني قَتَل صبراً الحارث بن عمير الأزدي الذي أرسله الرسول ص إلى ملك بصرى بكتابه، وكانت الرسل لا تُقْتَل،

---

47) بالقرب من البلقاء دون دمشق أنظر : فتح الباري 510/7 – 511 ، السهيلي: الروض 31/7، ابن سعد ، الطبقات 128/2.

48) قال الزرقاني (شـــرح 267/2): وفي بعض الروايات تســـميتها غزوة جيش الأُمراء، وذلك لكثرة جيش المسلمين فيها، وما لاقوه من الحرب الشديدة مع الكُفَّار.

49) ابن خياط: تاريخ 86، الذهبي: العبر 9/1.

50) قال البنا (الفتح الرباني 136/21) باب ما جاء في ســرية زيد بن حارثة إلى مؤتة، من أرض الشـــام، في جمادى الأولى سنة ثمان، ويقال لها غزوة مؤتة. وعنْوَن لها ابن كثير (البداية 241/4) بغزوة مؤتة، ثُمَّ قال: وهي سرية زيد بن حارثة... الخ.

51) ابن هشـــام: ســـيرة 373/2، الواقدي: مغازي 755/2، الطبري: تاريخ 36/3، ابن عبد البر:درر222 ،أبونعيم:دلائل528/2، البيهقي : دلائل358/4، ابن الأثير: الكامل234/2، ابن ســـيد النَّاس: عيون 198/2، ابن حزم: جوامع 220، الســـهيلي: الروض 31/7، ابن القيم: زاد 155/2، الأشـــخر اليماني: بهجة 390/1).

فغضب رسول الله ص ، وأرسل الجيش إلى مؤتة، والواقدي ضعيف لا يُعْتَمَد عليه وبخاصّةً إذا انفرد بالخبر(52) ، وقد أيده وقد تبعه في كُلٍّ من: ابن سعد(53)، وابن سيد الناس(54)، والقسطلاني(55)، وابن القيم(56).

والبعض يذكر سبباًّ آخر، وهو النتيجة التي آلت إليها سرية ذات أطلاح(57)، بينما يستند بعضهم على رواية أخرى ضعيفة(58)، مفادها أنَّ صاحب مدينة بصرى(59) رفض ما جاء في رسالة النَّبيِّ ص له، وهدَّد بالمسير إلى المسلمين بجيوشه وغزوهم في عقر دارهم "فتهديده بالمسير إلى المسلمين يقتضي ردّاً على مستوى التحدي،

---

52) د. أكرم ضياء العمري: السيرة النبوية الصحيحة 467/2.
53) الطبقات 128/2.
54) عيون الأثر 198/2.
55) المواهب 549/1.
56) زاد المعاد 381/3.
57) انظر: (با شميل: غزوة مؤتة 253، ياسين سويد: معارك خالد 168، احمد عادل كمال: الطريق إلى دمشق 145).
58) الطبري (تاريخ 652/2)
59) مدينة بصرى: من أعمال دمشق، وهي قصبة كورة حوران، مشهورة عند العرب قديماً وحديثاً، وهي في منتصف المسافة بين عمَّان ودمشق، وبصرى اليوم آثار قرب مدينة درعة التي احتلت محلها، حتى ظنَّ بعض الناس أنَّها هي، وبصرى، ودرعة، داخل حدود الجمهورية السورية على أكيال من حدود المملكة الأردنية الهاشمية.
انظر: ياقوت: معجم 441/1، البلادي: معجم 43 - 44.

فكانت غزوة مؤتة(60).ويذكر أبو زهرة، عن شيخ الإسلام ابن تيمية، أنه ذكر في رسالة القتال: "أنَّ النَّبيّ ص ما بعث إلى حرب الروم في مؤتة إلاَّ بعد أن قَتَل الوالي الروماني مَن أسلم في الشام(61 ).والحق أنَّ البحث عن الأسباب المباشرة لغزو القبائل العربية في أطراف الشام لا يؤثر على تفسير الأحداث كثيراً، لأنَّ تشريع الجهاد يقتضي الاستمرار في إخضاع القبائل العربية وتوسيع رقعة الدولة الإسلامية بصرف النظرعن الأسباب المباشرة(62). فهذه الغزوة كما يقول ابن كثير - رحمه الله تعالى - كانت إرهاصاً لِمَا بعدها من غزو الروم، وإرهاباً لأعداء الله ورسوله ص (63). ويُكاد يتَّفِق أهل المغازي، وأهل الحديث - مِمَّن روَى منهم أحداث وقعة مؤتة - على أنَّ تاريخ الوقعة كان في جمادى الأولى من السّنة الثامنة من مهاجر النَّبِيَ ص (64). فلما ندب رسول الله ص النَّاس إلى مؤتة استجاب له حوالي ثلاثة آلاف من الصحابة - ي(65).

---

60) منير غضبان ، فقه السيرة 544

61) خاتم النبيين ، 1139/2.

62) أكرم العمري: السيرة النبوية الصحيحة 467/2.

63) الفصول في سيرة الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم 195 ، غزوة مؤتة والسرايا والبعوث النبوية الشمالية، ص 249

64) ابن هشام: سيرة 373/4، الطبري: تاريخ 36/3، البيهقي: دلائل 358/4، ابن حجر ، فتح 511/7)، الهيثمي (مجمع 160/6) ، الشامي ، سبل228/6، ، ابن سيد الناس ، عيون 198/2، القسطلاني ، المواهب 549/1، ابن حزم: جوامع 220، ابن القيم ، زاد 381/3، الحلبي ، سيرة 786/3).

65) الواقدي (مغازي 755/2)، ابن هشام ، سيرة 373/4، الطبري ، تاريخ 36/3، البيهقي ، دلائل 358/4)، ابن سعد (طبقات 128/2).

وهو أكبر جيش إسلامي يتم حشده حتى ذلك الوقت، فإنَّ جيش المسلمين في الحديبية، ثُمّ في خيبر - وهما الغزوتان اللتان سبقتا مؤتة - لم يتجاوز حاجز الألفين(66)، مِمَّا دلَّل على نجاح صلح الحديبية عملياً، وأنَّ قوة المسلمين في تنامي وتزايد مستمر ، بل إنَّ بعض الروايات ذكرت أنه تمّ حشد ستَّة آلافمن المهاجرين والأنصار(67).

وفي الجرف(68)، عسكر الجيش الإسلامي كالعادة، وكان القائد الأعلى رسول الله ص قد أصدر أوامره الشريفة بإسناد قيادة الجيش لمولاه وحبه زيد بن حارثة ا، وقال: "إنْ قُتلَ زيد، فجعفر، وإن قُتل جعفر، فعبد الله بن رواحة(69)وعند البيهقي: "فإن أُصيب فليرتض المسلمون رجلاً، فليجعلوه عليهم(70)".قال أبو قتادة - رضي الله تعالى عنه : "فوثب جعفر، فقال: " يا رسول الله! ما كنت أرهب أن تستعمل عليّ زيداً، فقال: "امض فإنَّك لا تدري أي ذلك خير(71)".

66) عوض الشهري ، مرويات غزوة خيبر ، ص 206-208، والحكمي ، مرويات غزوة الحديبية 51.

67) غزوة مؤتة والسرايا والبعوث النبوية الشمالية ، ص 259

68) الجُرْف - بالضم ثُمَّ السكون - ما تجرَّفته السيول فأكلته من الأرض، وهو موضع على ثلاثة أميال من المدينة، به كانت أموال لعمر بن الخطَّاب رضي الله تعالى عنه، ولأهل المدينة. وقيل: سُمِّيَ الجُرْف، لأنَّ تُبّعاً مرَّ به، فقال: هذا جرف الأرض، وكان يُسَمَّى: العرض، وكان الجرف في عهد النَّبِيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم بمثابة معسكر للجيوش النبوية. والجُرف اليوم من أحياء المدينة الشمالية الكبيرة، يمتد من مزارع العيون شرقاً، حتَّى طريق المدينة تبوك غرباً. انظر: ياقوت: معجم 128/1، السمهودي: وفاء: 1175/4).

69) أخرجه البخاري (الصحيح 87/1).

70) البيهقي (الدلائل 359/4)

71) أخرجه أبو داود (انظر: عون المعبود، حديث 434)، وأحمد (المسند 376/5-377)، والنسائي (السنن الكبرى 96/5)، وابن حبان (انظر: الإحسان في ترتيب صحيح بان حبان، حديث 7008)، والبيهقي (الدلائل 376/2)، والطبري (التاريخ 40/3)

ويبدو أنَّ بعض الصحابة - ي- قد تكلَّم في إمرة زيد وتقديمه على غيره ، فوضَّح لهم رسول الله ص مكانة زيد - رضي الله تعالى عنه - وأحقيته بالإمارة،وأنَّه مِن أحبّ الناس إليه(72)،فسمعوا وأطاعوا". ذلك هو مبلغ تقدير النَّبِيَ ص لكفاءة زيد القيادية، وثقته الكاملة به،وهو تقديرٌ عظيمٌ، وثقةٌ بالغةٌ، واعتمادٌ هائلٌ استحقَّه زيد بمزاياه القيادية أولاً وقبل كل شيء، فما كان النَّبيّ ص يولي ثقته الكاملة إلاَّ لمن يستحقها بجدارة، وقد لمسنا شجاعة زيد في الغزوات التي شهدها مع النَّبيَ ص ، وفي سراياه التي قادها، ولمسنا شجاعته في الواجبات الأخرى التي ألقاها على عاتقه النَّبِيّ ص في استصحاب بناته وزوجته في الهجرة، في وَسَطِ يعُجّ بالأعداء والحاقدين والموتورين من المشركين".

لقد قضى الإسلام مع ما قضى عليه من تقاليد الجاهلية، على الأنفة من تأمير مَن لم تُقَدِّمه السن، والاستمساك بِعُرَى التَّفاضُل بالأنساب والأحساب والعشائر والقبائل"..

إنَّ التَّفَاضُلَ في الإسلام يخضع للتقوى وصالح الأعمال، بالإضافة إلى الكفايات المناسبة للعمل المناسب، وقد رفعت مزايا زيد القيادية، وإيمانه الراسخ العميق إلى الإمارة(73)".

---

72) البخاري (الصحيح 213/4)، وينصُّ ابن حجر (فتح 87/7) على أنَّ ذلك كان في مؤتة.

73) خطَّاب ، القادة الشهداء في مؤتة ، 60 - 64.

وتجدرُ الإشارة أنه لأوّل مرّة في تاريخ غزوات النَّبيَ ص وسراياه يتم تولية أُمراء بالترتيب، "وما ولَّى النَّبيَ ص قبل وقعة مؤتة ولا ولَّى بعدها ثلاثة قادةأو قائدين على سرية واحدة، ولكن بُعْد نظره - عليه الصلاة والسّلام - وتقديره لأهمية هذه السرية وخطورتها هو الذي جعله يولِّي ثلاثة قادة على سرية واحدة، مرّة واحدة فقط في حياته العسكرية كلها"(74).وربّما كان ذلك احتياطاً منه هـ لما كان متوقعاً أن تحُفَّ الأخطار هذه الحملة لوجهتها البعيدة، ولعدم وقوع احتكاك سابق بمناطق تخضع لنفوذ دولة قوية كالامبراطورية البيزنطية التي كانت قبائل الشام وأطرافها موالية لها سياسياً(75). والذي حدث أنَّ رسول الله ص عقد لهم لواءَ أبيض ودفعه إلى زيد بن حارثة، فتجهَّز الناس، وتهيأوا للخروج (76) وخرج معهم رسول الله ص حتَّى بلغ ثنية الوداع(77)، وهناك أوصاهم قائلاً

74) خطَّاب ، القادة الشهداء 114-115.

75) أكرم العمري ، السيرة النبوية الصحيح 467/2.

76) ابن سعد (طبقات 127/2)

77) ثَنِيَّةُ الوَدَاعِ - بفتح الواو - وهي اسم من التوديع، وهي ثنية مشرفة على المدينة يطؤها مَن يريد الشام، واختلف في سبب تسميتها بذلك، والأشهر والصحيح أنه اسم جاهليّ قديم سُمِّيَ لتوديع المسافرين، وكان اسمها قديماً ثنية الركاب، وكانت هذه الثنية بين مسجد الراية، وقبر النَّفْس الزكية جوار سلع، وقد هُدِمَت اليوم وأُزِيلَت بكاملها مع المسجد، وأُقِيمَ مكانها مدخل نفق المناخة من جهة الشمال. العباسي: عمدة الأخبار، 283).

"اخرجوا باسم الله، فقاتلوا في سبيل الله عدوّ الله وعدوّكم، إنَّكم ستدخلون الشام فستجدون رجالاً في الصَّوامِع(78) معتزلين النَّاس فلا تعرضوا لأحدٍ منهم إلاَّ بخيرٍ، وستجدون آخرين للشياطين في رؤوسهم مفاحص(79)، فافلقوا هامهم(80) بالسيوف، لا تَقْتُلُنَّ كبيراً ولا فانياً، ولا صغيراً ضرعاً(81)، ولا تَقْتُلُنَّ امرأةً ،ولا تُعْزِقُنَّ(82) نخلاً"(83)
لقد تضمنَّت تلك الوصية أرقى قانون للحرب العادلة، قانون عجزت حتى الآن كُلّ النُّظُم والتشريعات أن تصل إليه من حيث الإنصاف في معاملة الأعداء، واجتناب الأعمال اللا إنسانية من التعرّض للنساء والأطفالوالعَجَزَة، ورجال الدين المعتَزلين بأي نوعٍ من أنواع الأذى، لقد كانت توصيات في الآداب الحربية، ودروس في الشرف العسكري، وأُسس راسخة في المعاملة الإنسانية، والرأفة بغير المحاربين من النساء والشيوخ والأطفال، وتربيات عالية شريفة ما سمعت ولا دعت أُمة مثلها منذ فجر التاريخ حتى اليوم من غير سيد البشر محمّد ص ".

---

78) جمع صومعة، وهي مكان عبادة الرهبان من النصارى.
79) أي أنَّ الشيطان قد استوطن رؤوسهم فجعلها له مفاحص، كما تستوطن العصافير أعشاشها. (ابن الأثير ، النهاية 385/3).
80) الهامة: رأس كُل شيء. والمعنى: اضربوا رؤوسهم بالسيوف.
81) أي الصغير الضعيف.
82) أي: لا تقطعن. والعزق: القطع.
83) الواقدي (مغازي 758/2) ابن الأثير في (النهاية 415/3)

إنَّ أرقى الأُمم في العصر الحاضر لا تزال في مجال محاولاتها الالتزام بقانون الشرف العسكري، لا تزال تحبو حبواً إذا ما قِسْنَا محاولاتها بما وضعه الرسول ص في خطبته هذه من قواعد راسخة لقانون الشرف العسكري(84)". ثُمّ ودَّع النَّاس أمراء رسول الله ص ، وسلَّموا عليهم، فلمّا ودَّعوا عبد الله بن رواحة - ا - بكى، فقالوا: "ما يبكيك يا ابن رواحة؟ فقال: "أما والله ما بي حُب للدُّنيا، ولا صبابة إليها، ولكني سمعت الله يقول: وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا [ سورة مريم:71]

فلست أدري كيف لي بالصدر بعد الورود؟!فقال المسلمون: "صحبكم الله، وردَّكم إلينا صالحين، ودفع عنكم". قال ابن رواحة:

لكنَّني أسأل الرحمن مغفرةً وضربةً ذات فرغ تقذف الزبدا(85)

أو طعنةً بيدى حران مجهزة بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا(86)

حتى يقولوا إذا مروا على جدثي أرشده الله من غازٍ وقد رشدا(87)

84) با شميل ، غزوة مؤتة 262-264.

85) ذات فرغ: يعني ذات سعة. الزبدُ: رغوة الدم.

86) رجل حرَّان: عطشان، أي متعطِّش للقتل. مجهزة: سريعة القتل.

87) الجدث: القبر

ثُمَّ أتى عبد الله بن رواحة رسول الله ص فودَّعه، فقال:

وثّبت الله ما آتاه من حسن تثبيت موسى ونصراً كالذي نصرا

إني تفرّستُ فيك الخير نافلة والله يعلم إني ثابت البصرا

أنت الرسول فمن يحرم نوافله والوجه منك فقد أزرى به القدرا(88)(89)

ثم تحرّكت القوات الإسلامية من المدينة صوب الشام ويذكر الواقدي أنَّهم نزلوا وادي القرى في طريقهم إلى الشام، وأقاموا أيّاماً(90)، ولكن أنباء حركتهم وصلت إلى الروم قبل وصول المسلمين إليهم، فنذروا وجمعوا لهم جموعاً كثيرة من الروم وحلفائهم من القبائل العربية الشامية المتنصرة (91).

---

88) نافلة: هبة من الله. وأزرى به القدرا: أي قصد به.
89) أبو نعيم ، الحلية 118/1
90) الواقدي ، مغازي 760/2.
91) خطّاب ، الرسول القائد صلّى الله عليه وسلّم 305، 307.

هذا وقد اختلفت الروايات فيهم، وفي عدَّتهم فذكر أنَّهم كانوا مائة ألف من الروم ،"وانضم إليهم من لخم(92)، وجذام، والقين(93)، وبَهْرَاء(94)، وبلىّ،مائة ألف منهم(95)".ولم تُحَدِّد بعض الروايات العدد، وإنَّما ذكرت أنَّهم جموع كثيرة من الروم ونصارى العرب من قضاعة،وتنوخ،وبهراء،وغيرهم من نصارى العرب(96)".

وهذا ما ذكره بعض المؤرخين (97)". في حين وصفهم خليفة بن خياط(98) بأنَّهم جموع هرقل دونما تحديد". والحقيقة أنَّ المبالغات التي أعقبت هذه المعركة، كثَّرت من عدد العدو وجعلته يبلغ هذا الرقم الخيالي(99)،

---

92) لَخْم - بفتح اللام وســـكون الخاء المعجمة - وهم من بني كهلان بن ســـبأ، وكان لهم مُلْك بالحيرة، ثُمَّ كان لبقاياهم مُلك بأشبيلية، ومن لخم بني الدار، ومنهم تميم الداري الصحابي. (القلقشندي ، قلائد الجمان 69).

93) بنو القين قبيلة كبيرة من قضـاعة، ينسـبون إلى القين بن جسـر، ووهم ابن التين، فقال: بنو القين قبيلة من تميم.(ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب424، ابن حجر ، فتح 74/8).

94) بَهْرَاء : وهم بنو بهراء بن الحافي بن قضـــاعة، والنســبة إليهم بَهْرَائي، ومنهم جماعة من الصـــحابة منهم المقداد بن الأسود رضي الله تعالى عنه، وكان بينهم وبين اللخميين ملوك الحيرة حروب. (القلقشندي ، قلائد الجمان 49).

95) ابن كثير ، البداية 242/4 – 243 ، ابن الأثير ، الكامل 235/2.
الطبري ، تاريخ 37/3، البيهقي ، دلائل 360/4 ، ابن عبد البر ، الدرر 222، ابن ســـيد الناس ، عيون 198/2، ابن القيم ، زاد381/3، ابن كثير ، البداية 243/4، ابن حزم ، جوامع 220، العامري ، بهجة390/1، الحلبي ، سيرة 786/2

96) ابن حجر، الإصابة 301/3).

97) أخرجه أبو داود (انظر: عون المعبود، حديث 434)، وأحمد (المسـند 376/5-377)، والنســائي (السـنن الكبرى 96/5)، وابن حبان (انظر: الإحســان في ترتيب صـــحيح بان حبان، حديث 7008)، والبيهقي (الدلائل 376/2)، والطبري (التاريخ 40/3.

98) تاريخ خليفة، ص 86-87.

99) عماد الدين خليل ، دراسة في السيرة 296.

وإن كان بمستطاع القبائل العربية الضاربة في المنطقة أن تؤلِّف مع الجيش الروماني قوةً ضخمة، ولكنَّ الأمر لم يكن على تلك الدرجة البالغة من الخطورة، "فإنَّ الحملة الإسلامية كانت مكوّنة من ثلاثة آلاف، وأنَّ أنباء مسيرها كانت معروفة، فلا يمكن أن يوجه إليها الروم مثل هذا العدد الحاشد من الجيوش، على أنَّ هذه الأعداد الضخمة لم تستخدمها بيزنطة في قتالها مع الفرس(100)". فقد ذكرت المصادر أنَّ جيش هرقل الذي أعاد به كرامة الإمبراطورية البيزنطية عندما هزم جيوش كسرى، حتى استطاع دخول المدائن، كان لا يزيد عدده عن سبعين ألفاً(101)".

"ولم يستخدم الروم هذه الأعداد، إلاَّ فيما بعد عندما اشتبكوا مع الدولة الإسلامية اشتباكاً حقيقياً خطيراً". لذلك فإنه من الأصوب الأخذ بروايات الزّهري، وابن عقبة، وابن عائذ، التي لم تُحَدِّد القوَّات بعددٍ معيّنٍ، وإنَّما ذكرت أنَّهم جموع كثيرة "وكُلّ ما يمكن تصوّرهأنَّ قوّة العدو كانت أكبر من قوّة المسلمين، أو أنَّها كانت أضعافها (102).

---

100) الشريف ، مكة والمدينة 534.

101) انظر: "الطبري ، تاريخ 183/2، الكندي ، فتوح مصـــر ، ص 35، أحمد عادل كمال ، الطريق إلى دمشق 39".

102) الشريف: مكة والمدينة، ص 534.

ويعتقد الجنرال أكرم أنَّها رُبّما كانت تتراوح بين عشرة آلاف، وخمسة عشر ألفاً(103). إنَّ التحديد الذي ورد في بعض الروايات التي ذكرناها بتلك الأعداد الضخمة، ربّما كان اجتهاداً من بعض الرواة والإخباريين، أو حتى بعض شهود العيان الذين ربّما نقل عنهم عروة وغيره من المؤرِّخين. كما لم تزودنا المصادر البيزنطية بمعلوماتٍ وافرة عن الأحداث التي كانت بين بيزنطة والمسلمين، بما في ذلك أحداث معركة مؤتة، فنستطيع من خلالها معرفة عدد الجيش البيزنطي والحلفاء فيها، حيث كان الاعتماد على المصادر الإسلامية في ذلك، والتي نادراً ما تخطيء في وصف الأحداث، لاعتمادها على الإسناد الذي يصل في كثيرٍ من الأحيان إلى شهود العيان، أو حتَّى المشاركين في تلكالأحداث، وتلك عملية دقيقة ومرتَّبة لم يُسْبَق المسلمون فيها أبداً، بل لم تعرفها أُمة من الأُمم على الإطلاق، غير الأُمة الإسلامية. ولكن حتَّى شهود العيان والمشاركون في صميم الأحداث لا يستطيعون في بعض الأحيان التعرّف بدقة على عدد جند العدوّ(104).

---

103) الجنرال أكرم ، سيف الله خالد بن الوليد 105 ، غزوة مؤتة والسرايا والبعوث النبوية الشمالية ، ص 280

104) في غزوة بدر العظمى ابتكر النَّبِيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم طريقة ذكية عَرَفَ من خلالها عدد جيش قريش، حيث سأل الأسرى الذي أمسك بهم المسلمون: كم ينحرون؟ قالوا: يوماً عشرة، ويوماً تسعة. قال القوم: ما بين الألف والتسعمائة. أحمد: المسند 193/2، والواقدي: مغازي 53/1).وانظر: العليمي ، مرويات غزوة بدر 99

بل يعتمدون أحياناً على الحدس والتخمين في إحصاءاتهم لجيوش الأعداء، لأنه لم تكن هنالك إحصاءات دقيقة معلومة عن عدد الجند والجيوش، كما هو الحال اليوم(105). وربُّما أنَّ بعض شهود معركة مؤتة من المسلمين شاهدوا تلك الكثافة العَدَدِيَّة والعُدَدِيَّة من الجند الروماني المجهَّز بأحدث الأسلحة والعتاد، فهالهم ذلك المنظر الذي لم يتعوّدوه من قبل، فقدَّروا عددهم اجتهاداً، ذلك التقدير الضخم. فعن أبي هريرة - ا - قال: شهدت مؤتة، فلمَّا رأينا المشركين، رأينا ما لا قِبَل لنا به من العدد والسلاح والكراع، والديباج، والحرير، والذهب، فبرقبصري، فقال لي ثابت بن أرقم : "يا أبا هريرة، مالك؟! كأنَّك ترى جموعاً كثيرة، قلت: "نعم". قال: "إنَّك لم تشهد بدراً معنا، إنَّا لَم نُنْصَر بالكثرة(106)". ومهما قيل في مبالغة الذين سجّلوا تعداد الروم وحلفائهم، فإنَّ الحقيقة تبقى واضحة للدارسين بأنَّ الرّوم وحلفاءهم كانوا أضعاف تعداد المسلمين، كما أنَّهم يقاتلون في بلادهم دفاعاً عنها، بينما يقاتل المسلمون بعيداً عن قاعدتهم الرئيسية المدينة، وبذلك تكون المزايا العسكرية في التفوّق العَدَدِيّ والعُدَدِيّ، وفي قرب قواعد الروم إلى قوّاتهم المقاتلة، هذه المزايا مع الروم على المسلمين بلا مراء(107).

---

105) بل إنَّ الكثير من دول العالم اليوم لا تُعْطِي إحصاءات دقيقة وصحيحة لجيوشها لاعتبارات أمنية.غزوة مؤتة والسرايا والبعوث النبوية الشمالية ، ص 281

106) الواقدي ، مغازي 670/2.

107) خطّاب ، القادة الشهداء 180 ، غزوة مؤتة والسرايا والبعوث النبوية الشمالية ، ص 282

وفي مآب من البلقاء(108)، احتشدت جيوش الحلفاء من الروم والقبائل العربية المتنصرة، فلمّا علم المسلمون بأمر جموعهم المتفوقة عليهم فواقاً ساحقاً، أقاموا على معان(109) ليلتين يفكرون في أمرهم، واستشار زيد بن حارثة - رضي الله تعالى عنه - أصحابه، فقال له بعضهم: "نكتب إلى رسول الله ص فنخبره بعدد عدونا، فإمّا أن يُمدَّنا بالرجال، وإمّا أن يأمرنا بأمره فنمضي له"(110). ويذكر الوليد بن مسلم أنَّ بعض المسلمين نصح زيد بالانصراف، مكتفياً بما حقَّقه من مكاسب معنوية، قائلاً له: "قد وطئت البلاد، وأخفت أهلها، فانصرف، فإنه لا يعدل العافية شيء، وعبد الله بن رواحة ساكت، فسأله زيد عن رأيه فقال: "إنَّا لم نسر إلى هذه البلاد ونحن نريد الغنائم، ولكنّا خرجنا نريد لقاءهم،ولسنا نقاتلهم بعددٍولاعُدَّة،فالرأي المسير إليهم".

108) مآب : وهي مدينة في طرف الشام من نواحي البلقاء، افتتحها أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه سنة ثلاث عشرة، وجاء في تقويم البلدان: أنَّ مآب مدينة قديمة قد بادت، وصارت قرية تُسَمَّى الربة، وهي من معاملة الكرك على أقل من نصف مرحلة إلى الشمال منها، وهي اليوم قرية صغيرة حيّة من محافظة الكرك. انظر: الحموي ، معجم 31/5، الملك المؤيد، تقويم البلدان 47.

109) معان : مدينة في أطراف الشام تلقاء الحجاز من نواحي البلقاء، وهي عاصمة إقليم الشراة، ومفترق طرق. ومعان اليوم إحدى مدن الأردن المزدهرة، ويبلغ عدد سكانها حوالي خمسةً وعشرين ألف نسمة، وجديرُ بالذِّكر أنَّ معان تبعد عن المدينة المنورة حوالي (810)كيلومتر،وعن مؤتة حوالي (150) كيلومتر.انظر: البكري ، معجم 1172/4 - 1241، الحموي ، معجم 135/5، البلادي ، معجم 300

110) ابن هشام(سيرة375/4)

"فشجّع الناس عبد الله بن رواحة، وقال: "يا قوم، والله إنَّ التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة وكثرة، ما نقاتلهم إلاَّ بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنَّما هي إحدى الحسنيين، إمّا ظهور، وإمّا شهادة، قال: "فقال الناس: "قد والله صدق ابن رواحة، فمضى الناس". وقبل زيد رأيه وسار إليهم(111).

إنَّ تشجيع عبد الله بن رواحة المسلمين على قتال الروم وحلفائهم، واستجابة المسلمين لهذا التشجيع، له دلالة لا يُمكن أن يختلف فيها اثنان، هي أنه كان يثق ثقةً عالية برجاله، وأنَّ رجاله كانوا يثقون به ثقةً مُطْلَقة، والثقة المتبادلة بين القائد ورجاله من أهمِّ مزايا القائد المتميَز، ولا يمكن أن يثق الرجال بقائدهم ثقةً مُطلَقة عفواً وبدون أسباب، كما أنَّ النَّبيّ ص كان لا يولي المراكز القيادية إلاَّ لأشخاص لهم مؤهلات عالية، ومزايا واضحة المعالم، فقد كان - عليه الصّلاة والسّلام - يحرِصُ أعظم الحِرْص على تولِّي الرجل المناسب للعمل المناسب، تطبيقاً لتعاليم الإسلام في الولاية، وثقة النَّبيّ ص بعبد الله بن رواحة، وثقة رجال عبد الله بن رواحة به، أسبابها وحوافزها واحدة، وهي تَمَتَّع عبد الله بن رواحة بالإضافة إلى عمق إيمانه، بمزايا قيادية أهَّلته لأن يكون أحد قادة النَّبي ص (112)".

111) ابن هشام، سيرة4/375

112) خطّاب ، القادة الشهداء 182-183.

ويعتقد بعض المحلِّلين والمَنَظِّرين العسكريين، وغيرهم من المؤرِّخين المعاصرين، أنَّ تشجيع عبد الله بن رواحة - ا - للمسلمين، واندفاعه بهم نحو العدوّ، رغم تفوقهم العددي، وقُرْب قواعدهم، كان مغامرة خطرة، ومجازفة مهلكة، وخطأً عسكرياً فادحاً، وذلك بموجب المقاييس المادية(113)".ولكن المقاييس المادية تُطَبّق على الذين يعتمدون الوسائل المادية وحدها في حروبهم، أمّا الذين يحاربون حرباً عقديّة، جهاداً في سبيل الله، ودفاعاً عن عقيدتهم، وعن حُرِّية انتشارها، فلا تُطَبّق عليهم المقاييس المادية وحدها، التي تُطَبّق على غيرهم في حروبٍ استثماريَّةٍ أو توسُّعِيّةٍ من أجل أمجادٍ شخصيةٍ، وأحقاد عنصرية أو طائفية، وعلى ذلك فلا تُطَبّق هذه المقاييس المادية على أمثال عبد الله بن رواحة، لأنَّهم كانوا يخوضون حرباً عقديّة لا دخل للمادَّة فيها من قريبٍ أو بعيد، وإلاَّ فماذا يمكن أن يُقال في غزوة بدر الكبرى الحاسمة، بالنسبة للمقاييس المادية وحدها، وكان تفوّق المشركين على المسلمين بنسبة ثلاثة على واحد في الأشخاص، وبنسبة مائة على واحد بالخيل، والخيل أنجح سلاح في الحروب القديمة؟! لقد حرّض عبد الله بن رواحة المسلمين على القتال لأغراضٍ عقديَّة، فكان تحريضه خطأً بالنسبة للمقاييس المادية، ولكنه كان عين الصّواب بالنسبة للجهاد والحرب العادلة التي كان يخوضها المسلمون حينذاك(114).

113) خطّاب ، القادة الشهداء 181، الغزالي ، فقه السيرة 366، باشميل ، غزوة مؤتة 284-285.
114) خطّاب ، القادة الشهداء ، ص 182-183 ، غزوة مؤتة والسرايا والبعوث النبوية الشمالية ، ص 294

ولكي نعرف مدى اندفاع عبد الله بن رواحة - ا - وحماسه لخوض حرب عقائدية إيمانية هدفها إعلاء كلمة الله عزّ وجلَّ، وإعزاز دينه، وأقصى ما يتمناه فيها هو نيل شرف الشهادة، وبذل روحه رخيصة في سبيل الله عزّ وجلَّ، يحدِّثُنا زيد ابن أرقم - رضي الله تعالى عنه - وكان من المشاركينفي مؤتة - قال: كنت يتيماً لعبد الله بن رواحة في حجره، فخرج بي في سفره ذلك مرد في على حقيبة رحله، فو الله إنه ليسير ليلة إذ سمعته وهو يُنشِد أبياته هذه:

إذا أويتني وحملت رحلي مسيرة أربعٍ بعد الحساء(115)

فشأنك أنعم وخلاك ذم ولا أرجع إلى أهلي ورائي(116)

وجاء المسلمون وغادروني بأرض الشام مشتهى الثواء(117)

115) الحساء: جمع حسى، وهو ماء يغور في الرمل، وإذا بُحِثَ عنه وُجِد.
116) قوله: ولا أرجع، فهو مجزوم على الدعاء، دعا على نفسه أن يستشهد ولا يرجع إلى أهله.
117) الثواء: الإقامة.

في أبيات"... قال: "فلمّا سمعتهنَّ منه بكيت". قال: "فخفقني بالدرة(118)، وقال: "ما عليك يا لُكع(119) أن يرزقني الله الشهادة، وترجع بين شعبتي الرحل(120)"(121)".

وكما اندفع عبد الله بن رواحة - ط - بفورة حماس إيمانية زخمة، اندفع - أيضاً - بفورة حماس شاعرية رائعة، راح يُصَوِّر فيها مقام المسلمين في معان، ثُمّ انطلاقهم بقوة وحماس إيماني نحو عدوهم المتربص في مآب:

جلبنا الخيل من أجام قرح(122) تغر من الحشيش لهاالعكوم(123)

حذوناها من الصوان سبتاً(124) أزل كأنَّ صفحته أديم(125)

أقامت ليلتين على معان فأعقب بعد فترتها جموم(126)

---

118) خفقني: أي ضربني. والدرة: السوط.

119) اللكع: اللئيم.

120) شعبتا الرحل: طرفاه المقدّم والمؤخّر. والحقيبة: ما يجعله الراكب وراءه إذا ركب.

121) ابن هشام (سيرة 376/4)

122) قرح: هو موضع كان بوادي القرى من صدره، فغلب عليه اسم العُلا لأنه أعلى الوادي، وكان سوقاً مشهورة في الجاهلية، وهو اليوم مدينة العُلا.(البلادي: معجم المعالم 250، ومرداد ، مدائن صالح 64)

123) العكوم: جمع عكم. وهو الجنب.

124) حذوناها: أي جعلنا لها حذاءً وهو النَّعل. والصوان: حجارة مُلْس، واحدتها: صوانة. والسبت: النعال التي تُصْنَع من الجلود المدبوغة.

125) أزل: أملس. صفحته ظاهرة. والأديم: الجلد

126) الجموم: استراحة الفرس.

فرحنا والجياد مسومات تنفس في مناخرها السموم(127)

فلا وأبي مآب لنأتينها وإن كانت بها عرب وروم

عبأنا أعنتها فجاءت عوابس والغبار لها بريم(128)(129)

ولما مضى زيد - ا - بالجيش، وسار بهم في مناطق تخضع لنفوذ الدولة البيزنطية، فكان من الطبعي أن يتعرّضوا لبعض التحرّشات العدائية من أهل تلك البلاد الذين كانوا يدينون بولائهم سياسياً، وعقائدياً، للدولة البيزنطية، وإن كانت بينهم خلافات مذهبية متأصلة(130)، ولكنّهم اتَّحدوا ضد المسلمين. وسار زيد بن حارثة - ط – بالمسلمين على جبال بين الشراة والبلقاء، على ريفها وعمارتها، فمر بقرية من قرى الجبال، يُقال لها: "أكثب، فشدَّ أهلها على ساقة(131)

127) مسومات: أي مرسلات. والسموم: الريح الحارَّة.
128) البريم: الحزام. وأصل البريم خيط تنظمه المرأة ثُمَّ تشده على وسطها.
129) ابن هشام ، سيرة4/375- 376
130) كان نصارى الشام يعاقبة، ونساطرة، وهم يخالفون مذهب الدولة البيزنطية الملكاني.
131) الساقة: مؤخرة الجيش.

المسلمين فأصابوهم بجراحة، وقتلوا رجلاً من المسلمين، فبلغ ذلك جماعة الجيش، فاستأذنوا زيد بن حارثة في الرجعة إليهم والانتقام منهم، فقال زيد:"لا أرى ذلك، لأنَّ عدوّكم أمامكم قد جمعوا لكم، ودنوا منكم، فأكره أن تفلّوا حدَّكم(132) ونشاطكم بقتال غيرهم، ثُمّ لا آمن أن يجمعوا لكم فيكونوا من ورائكم، فتكونوا بين عسكرين"(133). لقد كان رأي زيد - ط: "المضي قُدُماً، وعدم استنْزاف قوة المسلمين في قتالٍ قد يُعيق تقدُّمهم نحو عدوّهم، وربّما كان ذلك سبباً لوقوع المسلمين بين فكَّي كمّاشة". وكان شرحبيل بن عمرو الغساني قام بتحرّشات عدائية - حيث جمع جموع العرب المتنصرة – وقام بإرسال الطلائع لتعيق تقدم المسلمين، ولكن محاولاته باءت بالفشل الذريع، حيث قَتَل المسلمون أخاه سدوس، قائد الطليعة الأولى، مِمَّا أثار الذُّعْر والهلع في قلب شرحبيل، فتحصّن(134)".

132) أي تضيِّعوا نشاطكم وقوَّتكم.
133) الواقدي ، مغازي 755/2
134) الواقدي ، مغازي 755/2

وتحرّك المسلمون نحو جيوش الروم، وحلفائهم من القبائل، فحصل التماس الأوّل في تخوم البلقاء "ولكن المسلمين رأوا أنَّ منطقة قرية مؤتة، بين الكرك(135) والطفيلة(136)، أنسب لقبول المعركة فيها، وذلك لوجود العوارض الطبيعية التي يستطيعون التحصّن بها، نظراً لقلّة قوتهم بالنسبة إلى الأعداء"(137).

فما "مِن شكٍّ أنَّ قوة العدو كانت أضخم كثيراً من قوة الجيش الإسلامي، وإن لم تبلغ العدد الذي ذكره الإخباريون، وكان التكافؤ منعدماً بين القوتين من حيث العدد، ومن حيث عُدَّة الحرب"(138). وفي مؤتة تعبأ المسلمون، ونظَّموا صفوفهم، فجعلوا على ميمنتهم رجلاً من بني عذرة، يُقال له: قطبة بن قتادة، وعلى ميسرتهم رجلاً من الأنصار، يُقال له: عباية بن مالك، ثُمّ التقى الناس"(139).

---

135) الكَرَك : مدينة تاريخية تقوم على مجموعة من الجبال التي يتخلَّلها وادٍ عميقٍ، وفيها القلعة الحصـــينة المشــهورة، وهي على ســن جبل عالٍ تحيط بها أودية إلاَّ من جهة الربض، وكان الصــليبيون احتلُّوها فأخافوا الحجَّاج المارِّين بهذا الطريق، وقد هاجمها صلاح الدِّين حتَّى فُتِحَت صُلْحاً عام 584 هـ، وهي اليوم في المملكة الأردنية الهاشمية.

انظر: ياقوت، معجم 453/4، البلادي ، رحلات 151-185.

136) بلدة الطفيلة بلدة رائعة الجمال ببســـاتينها ومناظرها الخلاَّبة، تبعد خمســـين كيلاً عن مؤتة، ولها طريق يذهب جنوباً إلى أذرح، فمعان، وطريق يذهب شـــمالاً إلى مؤتة، فالكَرَك. أنظر : علي العتوم: تجربة مؤتة 85، البلادي: رحلات 151 .

137) خطَّاب، الرسول القائد ، ص307، وانظر: ابن هشام، سيرة 377/4.

138) الشريف ، مكة والمدينة 535 ، غزوة مؤتة والسرايا والبعوث النبوية الشمالية ، ص 303

139) ابن سعد ، طبقات 127/2

وقد لاحظ المسلمون تفوّق الروم وحلفائهم عليهم، ولكنّهم لم يكترثوا بذلك(140). وبدأ هجوم المسلمين باندفاع قائدهم زيد بن حارثة - ط - بلواء رسول الله ص نحو صفوف العدو "فحارب مستقتلاً مستميتاً حتّى مزّقته رماح العدو"(141) وذلك وفق وصف رواية عروة: حتى شاط في رماح القوم"(142). إنَّ ذلك الوصف يدل على قوة اندفاع زيد - ط - واستماتته في القتال، مع عدم اكتراثه بقوة العدو، وكثافته العَدَدِيَّة والعُدَدِيَّة، وهو أمر يدل على فرط شجاعته وجرأته واستهانته بالموت ما دام في سبيل الله - عزّ وجلَّ . وكلمة (شاط) (143) تعطي عمقاً بعيداً عن مدى شراسة الحملات التي قام بها ذلك البطل المغوار في العمق داخل صفوف العدو، وما تمزيق جسده الطّاهر برماحهم إلاَّ نتيجة حتمية لتلك الجرأة العظيمة التي كان يتمتع بها، ويحمل بها على العدو، معطياً من نفسه القدوة الصالحة لجنده، وما ذلك إلاَّ لعلو نفسه، وقوة رباطة جأشه.

140) خطّاب: الرسول القائد صلّى الله عليه وسلّم ، ص 307. غزوة مؤتة والسرايا والبعوث النبوية الشمالية، ص 304

141) خطّاب: الرسول القائد صلّى الله عليه وسلّم ، ص 307.

142) ابن هشام ، سيرة375/4

143) أصل الإشاطة: الإحراق، أي كأنه احترق برماح الأعداء من شدَّة تمزيقها له، وكأنَّهم حنقوا عليه نتيجة الحملات الشرسة والقوية التي كان يحمل بها عليهم في العُمْق.

نعم! لَمَّا كانت نفس زيد بن حارثة الكلبي - ط - حِبِّ رسول الله ص كبيرةً توّاقةً للمعالي، دفَعَ جسده الطاهر الزكي الثَّمَن غالياً في أحضان رماح العدو وحرابهم، وما كاد يسقط القائد البطل شهيداً في سبيل الله تعالى، حتَّى تلقَّف منه اللواء، ومِن ثَمَّ خلفه في القيادة - حسب أمر القائد الأعلى رسول الله ص - بطل آخر شاب من آل بيت النَّبيَ ص موئل البطولات، وأركان الشجاعة، ولا غَرْوَ في ذلك، فهو جعفر ابن أبي طالب - ط ، ابن عمّ رسول الله ص بطلالأبطال، وقائد الشجعان.

وتقدَّم البطل الشاب بفرسه يصول ويجول براية رسول الله ص ، حتى إذا ما ألحمه القتال، ترجَّل عن فرسه، كما يذكر أحَد شهود العيان: "والله لكأني أنظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرسٍ له شقراء، فعقرها، ثُمَّ قاتل القوم"(144)، راجلاً، وهو يرتجز:

يا حبّذا الجنَّة واقترابها طيبة وبارد شرابها

والروم روم قددنا عذابها كافرة بعيدة أنسابها

144) أبو داود (السنن 62/3-63)، ابن هشام (السيرة 378/4) ، الزرقاني (شرح المواهب 272/2)

ثُمّ اندفع يقاتل بشجاعة نادرة، وجرأة لا مثيل لها، ورباطة جأش عظيمة، والضربات تنهال عليه من كُلِّ جانبٍ ما بين طعنة رمح، وضربة سيف، ورميل نبل، دون أن تثنيه عن الاستمرار، أو تعيق تقدمه بلواء رسول الله ص الذي كان يمثل رمزاً عظيماً للمسلمين في معاركهم، لأجل ذلك كان تركيز العدوّ على إسقاطها شديداً، فلمّا أعياهم البطل جعفر - ا – بقوة تماسُكه، ورباطة جأشه العظيمة، ورأوا أنَّ الضربات على جسده لم تزده إلاَّ إمعاناً وتقدُّماً نحو صفوفهم، عندها حوّلوا ضرباتهم إلى اليد العظيمة التي كانت تمسك اللواء بقوة، وتقاتل به بلا هوادة، فقطعوها، وظنَّ الأعداءَ أنَّها النهاية، وأنَّ اللواء سوف يسقط، فتسقط معه معنويات المسلمين، ولكنَّ القائد العظيم تلقَّفه: "بشماله، فقُطِعَت، فاحتضنه بعضديه"(145)، ولكن "ورغم استبسال جعفر وثباته هذا، فقد انتهى صموده الرائع بأن سقط شهيداً بعد أن اعتورته سيوف الرومان، وهو يحتضن اللواء في إصرارٍ وتصميمٍ، حتَّى صعدت روحه الطاهرة، ليأخذ مكانه بين الصِّدِّيقين والشُّهداء"(146).

---

145) ابن هشام (السيرة 378/4) ، (المستدرك 232/3) ، (المجمع للهيثمي 273/9) ، ابن كثير (البداية 246/4)

146) با شميل: غزوة مؤتة 296، غزوة مؤتة والسرايا والبعوث النبوية الشمالية ، ص 308 .

بل بين الملائكة ، فقد صحّ أنَّ الله قد عوّضه من يديه جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة(147 )، ويأكل من ثمارها حيث شاء، فلذلك سُمِّيَ الطيّارفي الجنَّة"(148).

ويكون أوّل من حاز على لقب طيّار في التاريخ الإسلامي، ويتفرّد به دون النَّاس أجمعين"(149 ). ولكنَّه في ذات الوقت ليس طيّاراً عادياً، أو حتى رائد فضاء، بل طيّاراً في الجنَّة مع الملائكة المقرّبين، يطير مع جبريل، وميكائيل، وقد ميّزه الله - سبحانه وتعالى - عن الملائكة بأن جعل جناحيه مضرجين، مخضوبةً قوادمه بالدماء(150). وذلك علامة على أنَّهما وسام شرف علوي مُنِحَ له مكان يديه اللتين ضحَّى بهما بإصرارٍ في سبيل الله تعالى، وهو يقاوم بقوة وعنادٍ عجيبين ألاَّ تسقط راية رسول الله ص أرضاً.

نعم! سقط القائد الشاب شهيداً، وفي جسده بضعٌ وتسعون ما بين طعنة ورمية، منها خمسون بين طعنة وضربة ليس منها شيء في دبره،يعني في ظهره"(151).

---

147)أخرج البخاري (الصحيح 87/5) من طريق الشعبي قال: "كان ابن عمر إذا حيًّا ابن جعفر قال: السلام عليك يا ابن ذي الجناحين". قال ابن حجر (فتح الباري 76/7): كأنه يشير إلى حديث عبد الله بن جعفر.

وأخرج الطبراني، كما في (مجمع الزوائد 273/9) بسنده عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما حديثاً طويلاً عن المعركة، قال في آخره: "ذا جناحين يطير بهما حيث شاء، مخضوبة قوادمه بالدماء". قال الهيثمي: رواه الطبراني بإسنادين وأحدهما حسن.

148) أخرجه الحاكم ، المستدرك 232/3، الهيثمي ، مجمع 273/9.

149) منير غضبان ، فقه السيرة 548 .

150) أخرج الطبراني، مجمع الزوائد 273/9) ، الحاكم (المستدرك 234/3) ، وابن حجر (فتح الباري 76/7) ، ابن سعد (الطبقات 39/4)

151) أخرجه البخاري (الصحيح 86/5).

وفي ذلك "بيان فرط شجاعته وإقدامه"(152). فلمَّا قُتِلَ جعفر، أخذ عبد الله بن رواحة الراية، ثـُمّ تقدَّم بها،وهو على فرسه، وكان لمقتل صاحبيه الواحد تلو الآخر على ذلك النحو المؤثـِـر، أثره في نفسه، فجعل يستنْزل نفسه ويتردَّد، بعض التردَّد، ويرتجز:

أقسمت يا نفس لتنزلنَّه لتنزلن أو لتكرهنَّه

إن أجلب الناس وشدَّوا الرنَّة(153) مالي أراك تكرهين الجنَّة

قد طال ما كنت مطمئنة هل أنت إلاَّ نطفة في شنَّة(154)

وقال أيضاً:

يا نفس إلاَّ تُقْتَلي تموتي هذا حمام الموت قد صليت

وما تمنيتِ فقد أُعْطِيتِ إنْ تفعلي فعلهما هُدِيتِ

---

152) ابن حجر (فتح 512/7).
153) أجلب الناس: يُقَال: أجلب القوم إذا صاحوا واجتمعوا. والرَّنة: صوت فيه ترجيع شبه البكاء.
154) النطفة: الماء القليل الصافي. والشَّنة: القربة القديمة.

يريد صاحبيه زيداً، وجعفراً، ثُمّ نزل، فلمّا نزل أتاه ابن عم له بعرق(155)  من لحم، فقال: شُدَّ بهذا صُلبك، فإنَّك قد لقيت في أيامك هذه ما لقيت، فأخذه  من يده، ثُمّ انتهس منه نهسة(156)، ثُمّ سمع الحطمة(157) في ناحية النَّاس، فقال: وأنت في الدُّنيا! ثُمَّ ألقاه من يده، ثُمَّ أخذ سيفه، فتقدَّم، فقاتل حتَّى قُتِلَ، فاستقبل الدم بيده، فدلك به وجهه، ثُمّ صُرِعَ بين الصّفين، فجعل يقول: يا معشر المسلمين، ذُبّوا(158) عن لحم أخيكم، فجعل المسلمون يحملون حتَّى يحوزوه(159)، فلم يزالوا كذلك حتَّى مات مكانه"(160). وينفي بعض المعاصرين رواية تردُّد عبد الله بن رواحة - ا ، كونها تتعارض مع موقفه قبل ذلك من تشجيعه للمسلمين لملاقاة الروم، وتحرّقه للشهادة في سبيل الله(161). بينما يربط بعضهم هذا الموقف بما عُرِفَ من تقلبات نفسية الشُّعراء وحساسيتهم(162). بينما ما حدث من عبد الله بن رواحة ا لا يعدو كونه أمراً طبعياً، وموقفاً من مواقف ضعف النفس البشرية يعتريها أوقات الشدة  والأزمات، وهو بالتالي لا يُدلِّل على خَوَرِ عبد الله ا وجُبْنَه،

155) العرق: العظم الذي عليه بعض لحم.
156) انتهس: أي أخذ منه بفمه يسيراً.
157) الحطمة: الكسرة. والمراد بها هنا اشتداد القتال بين الطرفين.
158) الذَّبُّ: الدفع، والمنع. (القاموس: ذَبَّ).
159) الحوز: الجمع وضم الشيء، كالحيازة والاحتياز.(القاموس: الحوز).
160) ابن الأثير، (أُسْد الغابة 238/3)
161) الدويدار ، صور من حياة الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم ، ص 521-523 .
162) عماد الدين خليل ، دراسة في السيرة 297 ، غزوة مؤتة والسرايا والبعوث النبوية الشمالية ، ص 315

كما يفهمه  البعض من ظاهر الرواية، فذلك أمرٌ مفروغٌ منه، فعبد الله بن رواحة - ا - مشهودٌ له بالشجاعة، والجرأة، ورباطة الجأش، وليس اختيار النَّبيِّ ص - وهو الخبير في أصحابه - له قائداً من قوّاد هذه الموقعة العظيمة التي كانت في عمق الأراضي الخاضعة لنفوذ الدولة البيزنطية، وبعيداً عن قاعدة المسلمين، وانتدابه له سابقاً في أقوى سراياه وبعوثه، وأصعبها مهمّة وجُرأة، وهي سرايا المغاوير، إلاَّ دليلاً من الأدلة القاطعة على ذلك. والصحابة - ي ، وإن كانوا مشهورين بالشجاعة والجرأة وحُب الموت في سبيل الله تعالى، فهم في النهاية ليسوا ملائكة، بل بشر يعتريهم الخوف والضَّعْف في مواطنهما، بل ربّما مغادرة ميدان المعركة، كما حدث من بعضهم في بعض المواقع، وقد سوّغ لهم الشرع التحيّز إلى فئة، وعدم الاستقتال. إنَّ ما حدث من عبد الله بن رواحة - ا - أمرٌ طبعي يمكن أن يحدث لكُلِّ إنسان في مثل تلك الظروف الصعبة والمواقف المحرجة.

ولكن معالجة الموقف بمثل تلك القوة، والشجاعة، ورباطة الجأش، لا تحدث من كُلِّ إنسان، فما قام به عبد الله بن رواحة - ا ، لا يقوم به إلاَّ رجال أبطال مؤمنون أمثاله، ولو كان غير ذلك لأطلَقَ لنفسه العنان، ولما استطاع مصابرتها والتغلُّب على فلتاتها.

وكان يمكن أن يمر ذلك الموقف دون أن يحس به أحد من الناس، ولكنَّ رجلاً شجاعاً، شاعراً، مؤمناً، مرهف الحسّ، صادقاً مع نفسه، كعبد الله بن رواحة ا ، لا يمكن أن يدعه يمر عليه هكذا بسهولة، دون أن يُصَوِّر أحاسيسه تجاهه تصويراً صادقاً قوياً، ويُعَبِّر عن خلجات نفسه نحوه تعبيراً دقيقاً رائعاً بصوتٍ عالٍ مرتفعٍ، استطاع معه شهود العيان، ومِن ثَمَّ الرواة تسجيله بمدادِ العزَّةِ والكرامة، لتتطلَّع عليه الأجيال الإسلامية تلو الأجيال، فتعتبر، ولعلَّه أراد ذلك فعلاً(163)

## اشتعال المعركة بين الجيشين:

هذا وقد أشعلت الحملات والاختراقات البطولية - التي قام بها القادة الثلاثة في العمق داخل صفوف العدو رغم تفوقه العَدَدِي والعُدَدِي - أشعلت حماس المسلمين جميعاً، واشتعل القتال على طول الجبهة، وأبدى المسلمون من صنوف البطولات الجماعية، والفردية، أسوة بقوّادهم ما أذهل الروم وحلفاءَهم.فهذا عبد الله بن رواحة - ا - كما يذكر الأوزاعي في رواية - وفي مجلس من مجالس الأنصار في المدينة، ومعهم نفر منهم، حين نزل قول الله - تبارك وتعالى: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ [ سورة الصف:4]

163) غزوة مؤتة والسرايا والبعوث النبوية الشمالية ، ص 316

يعاهدون الله - تبارك وتعالى - على الجهاد في سبيله حتى الموت، فلمّا أخذ عبد الله بن رواحة - ا - الراية، فصاح بأولئك النّفر الذين حضروا ذلك المجلس، فتلا عليهم الآية وقال لهم: إنَّ ما كنتم عاهدتم الله عليه قد جاء مصداقه، "اصدقوا الله يصدقكم، فجاءوا يخبّون(164) كأنَّهم بقر نُزِعَت من تحتها أولادها، فتقدَّموا بين يديه، فلمّا شدَّ على الروم شدُّوا معه حتى شُدِخُوا(165) جميعاً"(166).وهذا عوف بن مالك الأشجعي - ا - ، أحد شهود العيان والمشاركين في مؤتة، يُحَدّثنا عن إحدى تلك البطولات، فيقول:خرجت مع زيد بن حارثة في غزوة مؤتة، فرافقني مدَدِّيّ(167) من أهل اليمن ليس معه غير سيفه، فنحر رجلٌ من المسلمين جزوراً(168)، فسأله المدَدِّيّ طائفة من جلده(169)، فأعطاه إيّاه، فاتَّخذه كهيئة الدرق(170)،

164) الخَبَب - محرَّكة - ضرب من العدو، أو كالرمل، أو أن ينقل الفرس أيامنه جميعاً، وأياسره جميعاً، أو أن يراوح بين يديه، والسرعة خب خباً وخبيباً وخبباً. (القاموس: خبب).

165) الشدخ: الكسر في كل شيء رطب أو يابس، وقيل: هو التهشيم. وقال الليث: الشدخ كسرك الشيء الأجوف، كالرأس ونحوه. وفي الحديث: فشدخوه بالحجارة. (اللسان، والقاموس: شدخ).

166) ابن عساكر ، تاريخ ، 314/5- 315

167) أي: من أمداد اليمن ، والأمداد: جمع مدد، وهم الأعوان والأنصار الذين كانوا يمُدُّون المسلمين في الجهاد.

168) الجزور: البعير، أو الناقة المجزورة، أي المنحورة.

169) طائفة من جلده: أي قطعة من جلده.

170) الدرق: ضرب من الترسة، الواحدة: درقة، تُتَّخذ من الجلود.

ومضينا، فلقينا جموع الروم، وفيهم رجل على فرس له أشقر عليه سرج مذهب، فجعل الرومي يفري(171) بالمسلمين، فقعد له المَدَدِّيّ خلف صخرة، فمرّ به الرومي فعرقبفرسه (172)، فخرّ(173) وعلاه فقتله، وحاز فرسه وسلاحه"(174).

ويتصدَّى عقيل بن أبي طالب - ا - لرجلِ آخر فيقتله بعد مبارزةٍ بالسيوف(175).

ولكن، ومع تلك البطولات التي أبداها المسلمون قُوّاداً وأفراداً، إلاَّ أنه بمقتل عبد الله بن رواحة - ا ، آخر قائد مُعَيَّن في المعركة، انفرط عِقد المسلمين و"صار المسلمون لا قائد لهم يحفظ نظامهم"(176)."وأصبح الموقف الآن خطيراً، ومن الممكن أن يتحوّل بسهولة إلى ما هوأسوأ، ويؤدي إلى هزيمة تامة للمسلمين"(177).

171) كناية عن المبالغة في القتل.

172) عرقب فرسه: أي قطع عرقوبه، وهو عصب غليظ في رجل الدَّابة بمنْزلة الركبة في يدها.

173) خرَّ: أي سقط من علو.

174) أخرجه مسلم (الصحيح 24/4)، وأبو داود (سنن 163/3) وهذا لفظه. وأحمد (المسند، حديث رقم: 239960).

175) الطبراني ، (المعجم الأوسط 265/1-266)

176) أبو زيد، شلبي ، سيف الله خالد بن الوليد ، ص 63.

177) الجنرال أكرم ، سيف الله ، ص 105 ،غزوة مؤتة والسرايا والبعوث النبوية الشمالية ، ص 322

## تولى خالد بن الوليد االقيادة وانسحابه بالمسلمين

ويدرك ثابت بن أقرم، أخو بني العجلان - ا - هذه الحقيقة، فيحاول تدارك الموقف، ويحتوي خطورته قبل تفاقمها، فيخطف اللواء من يد عبد الله بن رواحة - ا - قبل أن يسقط أرضاً:ثُمّ سعى به حتى إذا كان أمام الناس ركزه، ثُمّ قال: إليّ أيها الناس فاجتمع إليه الناس"(178). فقال: يا معشر المسلمين! اصطلحوا على رجلٍ منكم. قالوا: أنت. قال: ما أنا بفاعل. فاصطلح الناس على خالد بن الوليد - ا (179)."وثابت أبى القيادة، لا نُكُوصاً(180) عن الموت، بل شعوراً بوجود الأكفأ منه في الجماعة، وحملانه الراية خشية أن تسقط من آيات الجرأة في هذا الموقف العصيب"(181)."ولقد كان خالد عند ظن أصحابه، لمعت عبقريته القتالية في لحظة الامتحان الخطير هذه، فجعل هدفه أن ينسحب بالمسلمين"(182).

178) ابن سعد ، طبقات ، 130/2

179) ابن سعد ، طبقات ، 130/2

180) نَكَصَ عن الأمر نُكُوصاً، ونَكْصاً ومنكصا: تكأكأ عنه وأحجم.

181) الغزالي ، فقه السيرة ، ص 368.

182) خليل ، دراسة في السيرة ، ص 298.

فقد "كانت المهمّة الأساس المنوطة بخالد في تلك الساعة العصيبة من القتال أن ينقذ المسلمين من الهلاك الجماعي، فبعد أن قدَّر الموقف واحتمالاته المختلفة قدراً دقيقاً، ودرس ظروف المعركة درساً وافياً، وتوقع نتائجها، اقتنع بأنَّ الانسحاب بأقل خسارة ممكنة هو الحل الأفضل"(183).ولأنَّ "قتال الانسحاب شاق مرهق، وبخصاصة وأنَّ خالد لا يريد إشعار الروم بهذه الخطة"(184)، "لاحتمال انقلاب الانسحاب إلى هزيمة، والهزيمة كارثة تؤدي إلى خسائر فادحة بالمنهزمين"(185). من أجل ذلك رأى القائد الذكي المحنَّك، أنه حتى يؤَمِّن انسحابه من ميدان المعركة بقوَّةٍ وانتظام، وبأقل خسائر، لا بدَّ أن يستخدم أسلوب (الهجوم أفضل وسيلة للدفاع)، فبدأ في "تحقيق هدفه، بأن رسم خطَّةً سعى فيها إلى إيهام العدو أنَ المسلمين لازالوا في أماكنهم يقاتلون، فدفع مقدمتهم إلى مناوشة العدو"(186). بينما تحرّك ببقية الجيش، وأعاد تنظيم قوّاته،وألّف مؤخرة قوية لحماية الانسحاب من ميدان المعركة.

---

183) ياسين سويد ، معارك خالد بن الوليد ، ص 171.
184) الغزالي ، فقه السيرة ، ص 369.
185) خطّاب ، الرسول القائد صلّى الله عليه وسلّم ، ص 308.
186) خليل ، دراسة في السيرة ، ص 299.

"لقد كان خالد قائداً ماهراً، محرِّكاً للجيوش لا نظير له، أُلْهِمَ القيادةإلهاماً، فهو يستعين فِي مواقفها بكُلِّ ما عرفت الحرب من فنٍّ يستخدمهعلى السليقة(187)، وعلى البصيرة الملهمة، فدار بالجيش دورةً ضمّ بها صفوفه، ثُمّ قاتل به فِي غير اندفاع، ومع ذلك فِي غير تراجع، وكان بذاته قدوةً للمسلمين"(188).

يقول - ا - واصفاً قوَّة الانسحاب الذي نفَّذه مع المسلمين، وشِدَّة القتال، وضراوته فِي أثناء الانسحاب، نتيجة ضغط العدوِّ عليهم - :لقد انقطعتفي يدي يوم مؤتة تسعة أسياف، فما بقي فِي يدي إلاَّ صفيحة يمانية"(189).ولمَّا رأى المسلمون ما يصنعه خالد بن الوليد - رضي الله تعالى عنه ، ازدادت حميتهم للقتال، واشتعل حماسهم، فهاجموا بعنف على طول الجبهة، فالمثل الذي ضربه خالد -ا- لهم قد أثار الحميّة والشجاعة فِي صفوف المسلمين، وازدادت المعركة عنفاً(190)، لدرجة أنَّ رسولَ الله ص قال: وهو يصف أحداث المعركة للصحابة - رضي الله تعالى عنهم - فِي المدينة:الآن حمي الوطيس(191). (192).

187) السليقة: يعني على الفطرة والطبيعة.
188) الشريف ، مكة والمدينة ، ص 536.
189) أخرجه البخاري (الصحيح 87/5).
190) الجنرال أكرم ، سيف الله ، ص 106.
191) الوطيس: الضراب في الحرب، ولم يُسمع هذا الكلام من أحد قبل النَّبيّ صلى الله عليه وسلم، وهو من فصيح الكلام عبَّر به عن اشتباك الحرب وقيامها على ساق.(الشامي: سبل 259/6-260).
192) أخرجه ابن عساكر ، تاريخ ، 544/5 ، من رواية ابن عائذ بسنده عن العطّاف بن خالد وهو منقطع.

نعم! لقد حمي وطيس المعركة بين الطرفين، حتى إنَّ المسلمين نسوا ما أصابهم بفقدان قادتهم الثلاثة في بداية المعركة: فيندفع قطبة بن قتادة العذري، قائد ميمنة المسلمين، إلى الأمام، فيطعن مالك بن رافلة الأراشي، قائد العرب المتنصرة، حلفاء الروم في المعركة، برمحٍ مضى فيه ثُمّ انحطم، كما وصف ذلكفي شعره الذي قاله مفتخراً بقتله:

طعنت ابن رافلة بن الأراشي برمحٍ مضى فيه ثُمّ انحطم

ضربتُ على جِيدِهِ ضربةً فمال كما مال غصن السلم(193)

ثُمّ بدأ خالد بن الوليد - ا - بعد ذلك عملية الانسحاب الشاملة من ميدان المعركة، عندما قامت مؤخِّرة المسلمين بقتال التعويق لإحباط مطاردة العدو للمسلمين، وإنقاذ القسم الأكبر من قوات المسلمين من التطويق(194).

193) ابن هشام ، سيرة ، 381/4

194) خطّاب ، الرسول القائد صلى الله عليه وسلم ، ص 308.

وانتشرت المؤخِّرة على جبهةٍ واسعة، واستطاع خالد - ا - قطع التماس القريب مع العدوٍّ، ولكنه لم يكن بعيداً عن مدى النبال، وكان تراجع المسلمين تحت حماية وابلٍ من سهام النَبّالة الذين كان على رأسهم النبّال الإسلامي المشهور واقد بن عبد الله التميمي، وكان من أرمى الناس، وقد كبّر وقال: ارفعوني على ترس(195)، فرفعوه، فقال: انظروا إلى مواقع نبلي، فإن رضيتم أخبروني، فرمى المشركين حتّى ردَّهم الله"(196).

وعندما تراجع المشركون "جمع خالد قوّاته، وقطع التماس مع العدوٍّ، وانسحب مع قوّاته بعيداً إلى الخلف، وأصبح الجيشان يواجهان بعضهما خارج مدى النبال، وكان كلاهما يلتمس الراحة وإعادة التنظيم(197).

---

195) الترس: الدرقة، جمعها درق، وتُتَّخذ من الحديد أو المعدن، ويســـتخدمها المحارب في ميدان المعركة كوقاية من ضربات العدو.

196) أخرجه سعيد بن منصور (السنن 2/297-298)،غزوة مؤتة والسرايا والبعوث النبوية الشمالية ، ص 227

197) الجنرال أكرم ، سيف الله ، ص 106-107.

ويذكر ابن الديبع الشيباني،أنَّ خالد بن الوليد - ا:

قاتل قتالاً شديداً ودافع عن المسلمين حتى انحاز بهم إلى جبل"(198).وكانت تلك فرصة للمسلمين لدفن شهدائهم في المعركة. قال سعيد بن أبي هلال:"بلغني أنَّهم دفنوا يومئذٍ زيداً، وجعفراً، وابن رواحة في حُفْرَةٍ واحدةٍ"(199) كما تمّ تقسيم أسلاب القتلى من العدوّ على مقاتليهم، إلاَّ أنَّ خالداً - ا - استكثر سلب الرومي الذي قتله المَدَدِّيّ، فبعث إليه: "خالد بن الوليد، فأخذ من السلب. قال عوف: فأتيته، فقلت: يا خالد! أما علمت أنَّ رسول الله ص قضى بالسلب للقاتل؟!. قال: بلى، ولكني استكثرته. قلت: لتردَّنه عليه، أو لأُعَرِّفَنَّكها عند رسول الله ص ، فأبى أن يردَّ عليه"(200).وهكذا استطاع خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه، بتوفيقٍ من الله، ثـُـمّ بحنكته وتدبيره، أن يحتفظ بتوازن المعركة حتى الليل.ثُمّ أصبح غازياً، قد جعل مقدّمته ساقه، وساقته مقدمة، وميمنته ميسرة، وميسرته ميمنة، فأنكروا ما جاء به من خلاف ما كانوا يعرفون من راياتهم وهيئتهم وقالوا: قد جاءهم مدد(201).

---

198) وجيه الدين عبد الرحمن بن علي ، حدائق الأنوار ، 656/2.

199) أخرجه سعيد بن منصور (السنن 297/2-298)

200) أخرجه مسلم (الصحيح 24/4)، وأبو داود (سنن 163/3) وهذا لفظه. وأحمد (المسند، حديث رقم: 239960)

201) أخرجه ابن عساكر

فرعبوا، ولسان حالهم يقول: "إذا كان المسلمون على قلَّتهم، قد فعلوا ما فعلوا بالأمس، فكيف وهم اليوم قد جاءهم المدد، وازداد العدد؟!.لقد أحجم الروم عن الهجوم، وكذلك لم يهاجمهم خالد، فقد كان يريدأن يخرج من المعركة غير المتكافئة بجيشه سليماً، ويُرْعِب العدوَّ حتى لا يلاحقه في تراجعه، فلمّا اطمأنَّ إلى نجاح خطته تراجع بقوَّاتِه، وبَعُدَ بها حتَّى صارت في مأمنٍ"(202).وهكذا: "انحاز الفريقان كُلٌّ عن كُلٍّ قافلاً عن غير هزيمة، فقفل المسلمونعلى طريقهم التي أبدوا منها، حتَّى مرّوا بتلك القرية، والحصن الذي كانوا شدوا على ساقهم،وقتلوا رجلاً منهم، فحاصروهم في حصنهم حتى فتحه الله عليهم عنوة، فقتل خالد مقاتلتهم في نقيعٍ(203)إلى جانب حصنهم صبراً فيها، فَسُمِّى ذلك النقيع، نقيع الدم إلى اليوم، وهدموا حصناً هدماً لم يعمر بعده إلىاليوم". ثُمَّ رجع خالد رضي الله تعالى عنه بالمسلمين سالمين إلى المدينة(204).

وبذلك استطاع سيف الله بث الرّعب في قلوب حلفاء الروم، وأعوانهم من العرب المتنصِّرة، الذين يمرّ المسلمون في طريق عودتهم عبر أراضيهم، فلم تذكر الروايات أنَّهم تعرّضوا للمسلمين بأي أذى كما فعلوا بالأمس(205).

---

202) الشريف ، مكة والمدينة ، ص 537.

203) النَّقيع: البئر الكثيرة الماء. (القاموس: نقيع).

204) أخرجه ابن عساكر ، ابن حجر (فتح 514/7)

205) غزوة مؤتة والسرايا ،ص 227

## معجزة للرسول - ص - وموقف أهل المدينة من الجيش:

كُلُّ تلك الأحداث كانت تجري على أرض المعركة بعيداً في مؤتة، ورسول الله ص ينقلها بتفاصيلها أولاً بأوّل مباشرةً لمن كان بالمدينة من الصحابةي: "فقال: أخذ الراية زيد فأصيب، ثُمّ أخذ جعفر فأُصيب، ثُمَّ أخذ ابن رواحة فأُصيب - وعيناه تذرفان - حتَّى أخذ الراية سيفٌ من سيوف الله، حتَّى فتح الله عليهم"(206).وفي حديث أبي قتادة: "ثُمّ أخذ اللواء خالد بن الوليد، ولم يكن من الأمراء، هو أمّر نفسه، ثُمّ قال رسول الله ص: اللَّهُمَّ إنه سيفٌ من سيوفك فأنت تنصره، فَمِن يومئذٍ سُمِّيَ سيف الله"(207).وتلك كانت معجزة نبوية، أطلع الله سبحانه وتعالى من خلالها رسوله الكريم ه على أحداث المعركة، وهو على بُعْد آلاف الكيلومترات عنها عياناً، وكأنه حاضرٌ معهم.

يذكر موسى بن عقبة في روايته أنَّ رسول الله ص قال:إنَّ الله - تبارك وتعالى - رفع لي الأرض، حتَّى رأيت معتركهم"(208) .

206) أخرجه البخاري (الصحيح 87/5).

207) أخرجه أبو داود (انظر: عون المعبود، حديث 434)، أحمد (المسند 376/5-377)، والنسائي (السنن الكبرى 96/5)، وابن حبان (انظر: الإحسان في ترتيب صحيح بان حبان، حديث 7008)، والبيهقي (الدلائل 376/2)، والطبري ، التاريخ ، 40/3

208) ابن سعد (طبقات 127/2)

وإذا كانت هذه الرواية فيها بعض الضَّعف باعتبار أنَّها مرسلة، فهناك بعض الوقائع المماثلة التي قد تؤيد وقوعها، فهذه المعجزة نظير ما وقع في قصّة الإسراء، حيث قال النَّبِيّ ص: "لَمَّا كذَّبتني قريش قمت في الحِجْر، فجلَّى الله ليَ بيت المقدس، فطفقت أُخبرهم عن آياته، وأنا أنظر إليه"(209).

## تحرّك النَّبِيّ ص بالمسلمين سريعاً لإمداد أهل مؤتة:

كان الروم وحلفاؤهم قد أحجموا عن مطاردة المسلمين نتيجة تلك المناورة الذكية التي قام بها خالد بن الوليد - ا - في ميدان المعركة، ولكنَّ الذي زادهم إحجاماً ورعباً، تلك المناورة الأذكى من مبتكر المناورات الذكية الذي سمّى: "الحربَ خدعة"(210). القائد الأعلى للقوات الإسلامية، رسول الله ص ، الذي ما أن وصله الخبر مباشرةً عن أحداث المعركة بواسطة الوحي الإلهي، حتَّى أمر المسلمين في المدينة -

209) أخرجه البخاري انظر (فتح الباري 391/8).

210) حديث صـــحيح. أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة، وجابر بن عبد الله، ي. انظر: (فتح الباري 158/6).

قال النووي (صحيح مسلم بشرح النووي 45/12): واتَّفقوا على جواز خداع الكُفَّار في الحرب كيفما أمكن، إلاَّ أن يكون فيه نقض عهد أو أمان فلا يجوز.

بعد أن قصّ عليهم الخبر - كما أسلفنا - بالتحرّك سريعاً لإمداد المسلمين في مؤتة، حيث قال: "انفروا، فأمدُّوا إخوانكم ولا يتخلَّفَنَّ منكم أحَد، فنفروا في حَرٍّ شديدٍ، مشاةً وركبانا، وذلك في حَرٍّ شديدٍ"(211) .وإذا كان خبر تحرّك المسلمين سابقاً من المدينة نحو مؤتة، قد وصلإلى مسامع الروم وحلفائهم بسرعة فائقة، مكَّنتهم من الاستعداد لهم ذلك الاستعداد الجيد، فإنَّ الخبر بمسير رسول الله ص بالمسلمين من المدينة سريعاً لإمداد إخوانهم في مؤتة، ربَّما يكون قد وصل إلى مسامع الروم وحلفائهم أسرع مِمَّا كان متصوَّراً في ذلك الوقت نظراً للتأييد الإلهي للنَّبِيَ ص بتلك المعجزة النبوية التي خصّه الله بها دون غيره من الأنبياء، وهي النَّصر بالرّعب مسيرة شهر(212). والمسافة بين المدينة وبيت المقدس كانت تساوي مسيرة شهر في ذلك الوقت، فإذا علمنا أنَّ مؤتة كانت أقرب للمدينة من بيت المقدس، فإنه لا بُدَّ أن يكون الرعب قد دخل قلوب الروم وحلفائهم منذ اللحظة التي تحرّك فيها النَّبي ص مع المسلمين من المدينة،

---

211) أخرجه أبو داود (انظر: عون المعبود، حديث 434)، أحمد (المسند 5/376-377)، والنسائي (السنن الكبرى 5/96)، وابن حبان (انظر: الإحسان في ترتيب صحيح بان حبان، حديث 7008)، والبيهقي (الدلائل 2/376)، والطبري (التاريخ 3/40)

212) أخرج البخاري في الصحيح (فتح الباري 1/436) عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عمهما قال: "إنَّ النَّبيّ صلى الله عليه وسلم قال: "أُعطيت خمساً لم يُعطَهُنَّ أحدٌ قبلي: نُصِرتُ بالرُّعب مسيرة شهر، وجُعِلَت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيُّما رجلٍ مِن أُمَّتي أدركته الصَّلاة فليُصَلِّ، وأُحِلَّت لي الغنائم ولم تُحَلّ لأحدٍ قبلي، وأُعطيت الشفاعة،وكان النَّبِيُّ يُبْعَثُ إلى قومه خاصّة، وبُعِثْتُ إلى الناس عامة".

فآثروا السلامة، مكتفين بما حقَّقوه في بداية المعركة، وتجنَّبوا المغامرة الخطرة في تعقُّب المسلمين، خوفاً من الاصطدام بالمدد النَّبَويِّ المتحرَك سريعاً من المدينة صَوْب منطقة العمليات في مؤتة.الشاهدُ أنَّ تلك الحركة من رسول الله ص ، قد تكون (مناورة تكتيكية) لإرهاب الأعداء، وإدخال الرّعب في قلوبهم، وقد أدَّت مهمّتها على الوجه المطلوب. والله تعالى أعلم(213).وهكذا أُسدِل الستار على تلك المعركة العظيمة، وفقد المسلمون من رجالهم بضعة عشر شهيداً، بالإضافة إلى القادة الثلاثة - ي - أجمعين(214).أمّا العدو فلا توجد معلومات عن مقدار خسارته، ولكنَّها لا شكَّ كانت جسيمة، لأنَّ كُلَّ قائدٍ من قادة المسلمين الذين تولَّوا القيادة قبل خالد كانشجاعاً، ومقاتلاً بارعاً، كما أنَّ السيوف التي كُسرت بيد خالد، لا شكَّ أنَّها كُسِرت في أجساد الأعداء"(215).واختلف أهل المغازي حول نتيجة مؤتة اختلافاً كبيراً، هل انتصر فيها المسلمون أم هزموا أم ماذا كانت نتيجتها ؟فهناك من يقول إنَّ المسلمين هَزموا الروم هزيمة منكرة في مؤتة(216).والسبب في ذلك يرجع إلي حديث أنس بن مالك عن النَّبيَ ص: "ثُمّ أخذها خالد ففتح عليه"، يدل على ظهوره عليهم(217). والله تعالى أعلم بالصواب.

213) غزوة مؤتة والسرايا ، ص227
214) أنظر ، ابن هشام ، سيرة388/4 ،الواقدي (مغازي769/2)،
215) الجنرال أكرم ، سيف الله ، ص 106-107.
216) ابن هشام ، سيرة ، 383/4، البيهقي ، دلائل 375/4، ابن كثير ، البداية 249/4-250)
217) دلائل النبوة للبيهقي ، 493/4

وقال ابن كثير : وهذا يقتضي أنَّهم غنموا منهم وسلبوا من أشرافهم، وقتلوا من أمرائهم، وقد تقدَّم فيما رواه البخاري أنَّ خالداً اقال: اندقَّت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف وما ثبت في يدي إلاَّ صفحة يمانية. وهذا يقتضي أنَّهم أثخنوا فيهم قتلاً، ولو لم يكن كذلك لما قدروا على التخلُّص منهم. هذا وحده دليلٌمستقلٌّ، وقد ذكر ابن إسحاق: أنَّ قطبة بن قتادة العذري - وكان رأس ميمنة المسلمين - حمل على مالك بن زافلة، ويقال: رافلة، وهو أمير أعراب النصارى فقتله، وقال يفتخر بذلك:

طعنت بن رافلة الأراشي برمحٍ مضى فيه ثُمَّ انحطم

فذكر شعره إلى أن قال:

وسقنا نساء بني عَمَه رقوقين سوق النعم

وهذا يؤيد ما نحن فيه، لأنَّ مِن عادة أمير الجيش إذا قُتِلَ أن يفرّ أصحابه، ثُمَّ إنه صرّح في شعره بأنَّهم سبوا من نسائهم. وهذا واضح فيما ذكرناه. والله أعلم(218).

---

218) ابن كثير ، البداية ، 250-249/4

وهناك من يقول إنَّ الروم هم الذين هَزموا المسلمين ، وجزم به الواقدي (219)، وكاتبه ابن سعد(220) وهناك قول ثالث يقضي بانسحاب خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه بالمسلمين - بعد تولِّيه القيادة - من ميدان المعركة بعد قتالٍ قويّ ومرير، ثُمَّ إحجام الروم عن مهاجمة المسلمين بعد خطَّته الإيهامية الذكية بتغييره مراكز الجيش، ومِن ثَمّ انسحاب كُلّ طرف عن الآخر دون قتال.وهذا قول ابن إسحاق(221)، وابن عبد البر(222) ، وابن حزم(223)، وابن سَيِّد النَّاس(224)، ورجّحه ابن القيم(225)، واعتمده معظم المؤرِّخين المعاصرين(226).وهذا القول وسط بين القولين السابقين، وهو الراجح فيما يبدو لي لعدَّة اعتبارات، فهو قول غالبية أهل المغازي كما رأينا.

219) وســـاق الواقدي خمس روايات تُدَلِّل على هزيمة خالد بالناس. ثُمَّ قال - مُعَلِّقاً على روايةٍ ذكرها حول اشـــتداد المعركة حينما أخذ خالد ابن الوليد رضـــي الله تعالى عنه الراية وقال :و......الأثبت عندنا أنَّ خالداً انهزم بالناس. (مغازي 763/2-764)

220) و قال ابن ســـعد : "فاصـــطلح الناس على خالد بن الوليد فأخذ اللواء، وانكشـــف الناس، فكانت الهزيمة".(الطبقات 129/2)

221) واستدلَّ ابن إسحاق على رأيه بشعر أحد شهود المعركة، وهو قيس بن المسحر اليعمري، الذي قال فيه:

وقفـت بـهـا مسـتجيراً فنـافـذاً ... ولا مـانـعـاً مـن كـان حُـمَّ بـه الـقـتـلُ

على أنّني آسـيـت نفسـي بخـالـدٍ ... ألا خـالـدٌ فـي الـقـومِ لـيـس لـه مـثـلُ

قال ابن إســـحاق:فبيَّن قيس ما اختلف فيه الناس من ذلك في شـــعره، أنَّ القوم حاجزوا وكرهوا الموت، وحقَّق انحياز خالد بمن معه.انظر : ابن هشام ، سيرة 383/4 .

222) الدرر ، ص 223.

223) جوامع السيرة 222.

224) عيون الأثر 201/2.

225) قال ابن القيم: والصحيح ما ذكره ابن إسحاق أنَّ كُلَّ فئة انحازت عن الأُخرى. (زاد 156/2)

226) غزوة مؤتة والسرايا ، ص342

كما أنَّ القول بهزيمة المسلمين غير صحيح لثلاثة أمور:

**أولاً** : الروايات في ذلك ضعيفة، فهي عن الواقدي، وتلميذه ابن سعد الذي يعدّ في غالب الظَّن ناقلاً عن شيخه، والواقدي متروك خاصّةً إذا انفرد. ورواية أبي موسى التي ذكرها ابن سعد ضعيفة أيضاً.

**ثانياً**: مخالفة هذه الروايات لرواية الصحيح، وقول النَّبيِّ ص فيه: ففتح الله عليهم.

**ثالثاً**: قلة قتلى المسلمين في المعركة، وعدم وقوع أسرى منهم في أيدي العدو، وكل ذلك يخالف ما يكون عليه المنهزم عادةً في المعركة(227).

أيضاً القول بهزيمة الروم وحلفائهم في المعركة، غير صحيح، لثلاثة أسباب:

**أولاً**: لو أنَّ المسلمين هَزموا الروم وحلفاءهم في مؤتة، لاشتهر ذلك، وذاعصيته، ولتواتر تواتراً يُؤمن بجانبه الكذب، وبخاصّةً أنَّ أوّل مواجهة قتالية بين المسلمين والروم كما كانت بدر أوّل مواجهة قتالية بين المسلمين والمشركين، وقد تواترت نتيجتها، وذاع صيتها، وبلغ صداها أرجاء الجزيرة العربية.

---

227) غزوة مؤتة والسرايا ، ص342

**ثانياً:** وقوع عدد كبير من الأسرى في أيدي المسلمين، وذلك ما لم تذكره الروايات.

**ثالثاً:** طرد الروم وحلفائهم من المناطق التي كانت خاضعة لسلطانهم في منطقة مؤتة، وما حولها، وإخضاعها لنفوذ المسلمين، وذلك لم يحدث، حيث استمر الروم وحلفاؤهم في المنطقة يُشَكِّلون تهديداً للمسلمين، بدليل بَعْث النَّبِيَ ص سرايا وبُعُوث إلى تلك المنطقة بعد مؤتة، ثُمَّ مسيره هـ بنفسه على رأس جيش العُسْرة إلى تبوك.إذاً القول الراجح : هو أنَّ سيف الله المسلول، خالد بن الوليد اقام "بعملية انسحاب بارعة دلَّت على مهارته الحربية الفائقة"(228).ولقد "كانت عملية التراجع والانسحاب التي قام بها خالد بن الوليد في أثناء معركة مؤتة من أكثر العمليات في التاريخ العسكري مهارةً ونجاحاً"(229)."ومثل هذا التدبير من خالد، ليس بالعمل الميسور الذي يستطيعه كُلّ قائد، بل هو عمل عظيم جسيم يتطلَّب مهارةً وحزماً، ورباطة جأش، وثقةً بنصر الله، وكثيراً ما عرف التاريخ قُوَّاداً عِظاماً كان السر في شهرتهم إنجاء جيوشهم من مثل هذا الموقف الحرج الذي لو اختلَّ أقل تدبير فيه لفني الجيش"، ولكن خالد بن الوليد - ا - كان له قصب السَّبْق في ذلك، فعلى الرغم من ضغط القوّات المتحالفة على المسلمين بشدَّة، وكثرة كاثرة، استطاع ذلك البطل أن ينظم انسحاباً قوياً ناجحاً دون أدنى خسائر تُذْكَر، مع الإثخان في العدو،

228) با شميل: غزوة مؤتة ، ص 261.

229) ياسين سويد ، معارك خالد بن الوليد ، ص 171.

وهو أمر يخالف ما جرت به العادة من أنَّ المنسحِب هو الذي في الغالب يتكبَّد الخسائر، فلمّا صار العكس وأفلت خالد - ا - بجيشه من قبضة العدوّ رغم تشديدهم الضغط عليهم، اعتبره المصطفى ه فتحاً، بل نصراً مؤزَّراً،استحق عليه اللقب الذي قلَّده إياه القائد الأعلى للقوّات الإسلامية، وهو الذي شاهد أحداث المعركة عِياناً بواسطة النقل الإلهي."ولقد عرف له الرسولُ ص حسن تدبيره"(230) ، "ونجاحه في الانسحاب بجيشه بانتظام دونما خسارة تذكر(231) ، "فلقَّبه سيف الله وهو وسام لم يمنحه أحَد من الصحابة(232)، "بل هو أوّل وسام يمنح لقائد في تاريخ الإسلام"(233) ، بلفي التاريخ البشري عامة، "ولعلَّ الرسولَ ص كان أسبق من غيره، في تقدير القوَّاد العِظام. "ولعمري مهما أجاد الإنسان في وصفه ومدحه، فلن يصفه بأحسن ولا بأوفى مِمَّا وصفه به رسولُ الله ص "(234)(235).

230) أبو زيد شلبي ، خالد بن الوليد ،ص 64.
231) با شميل ، غزوة مؤتة ، 261.
232) أبو زيد شلبي ، خالد بن الوليد ، 64.
233) با شميل ، غزوة مؤتة ، ص 261.
234) أبو زيد شلبي ، خالد بن الوليد ، ص 64.
235) غزوة مؤتة والسرايا ، ص343

لقد "مضى خالد بلقب سيف الله في مؤتة، والذين يدَّعون ذلك كثيرون، أمّا الذي يملك الشهادة من رسولِ الله ص وحده في الدَّنيا هو خالد بن الوليد"(236). أخرج الحاكم، وصحّحه، عن الشعبي، عن عبد الله بن أبي أوفى: "أنَّ رسولَ الله ص قال: لا تُؤذوا خالداً، فإنه سيفٌ من سيوفِ الله ص بّه على الكُفَّار(237)."إنَّ الجماعة المسلمة بحاجةِ أنْ تُفْقَه معادن الرجال، وتضع الرجال في مواضعهم وهي تخوض معركتها مع العدوّ(238).

**ردة فعل أهل المدينة لنتيجة المعركة:**

"لقد صمد المسلمون في معركة مؤتة صموداً هو أروع ما يصنع الإيمان الصادق، وقد دفع المسلمون الثمن غالياً دونما شك، تمثَّل هذا الثمن الغالي بصورةِ رئيسية في مصرع قادة الجيش الرئيسيين الثلاثة، الواحد بعد الآخر، وبأسلوبٍ تمثَّلت فيه أرقى معاني البطولة، واسترخاص الأرواح في سبيل الله(239).

---

236) منير غضبان ، فقه السيرة ، 546.

237) المستدرك ، 338/3.

238) منير غضبان ، فقه السيرة ، ص 546.

239) با شميل: غزوة مؤتة ، ص 286-287.

وهذا رسولُ الله ص يصف بطولتهم، واسترخاصهم أرواحهم في سبيل الله، ومدى غبطتهم وسرورهم بمصيرهم بما "رأوا من فضل الشهادة"(240)بقوله:"وما يسرهم أنَّهم عندنا"(241).

"إنَّ روعة المقاومة الإسلامية في معركة مؤتة التاريخية، والتي يسرت للمسلمين انسحاباً منظَّماً مشرفاً بعد ذلك الصدام الهائل، انسحاباً يمثِّل في واقعه أعلى درجات الانتصار بالنسبة لظروف المعركة الصعبة(242).وتكفينا هنا شهادة رسول الله ص الذي وصف ذلك الانسحاب القوي بالفتح والدلالة التي تعلو على الريب في هذه المعركة(243).

إنَّ شجاعة المسلمين وبسالتهم بلغتا حداً كبيراً، وقد أكسبهم هذا الروح العالي إقداماً حقَّر أمامهم كبرياء الأُمم التي عاشت مع التاريخ دهراً تصول وتجول لا يوقفها شيء.

"إنَّ الاستهتار بالخطر، والطيران إلى الموت ليس فروسية احتكرها الرجال المقاتلون وحدهم، بل هي قوَّة غامرة قاهرة تعدَّت الرجال إلى الأطفال، فأصبحت الأمة كلها أُمة كفاح غالٍ عزيز، وحسبك أنَّ جيش مؤتة لَمَّا عاد إلى المدينة قابله الصبيان بصيحات الاستنكار، يقولون: يا فُرّار، فررتم في سبيل الله ؟! إنَّ أولئك الصِّغار الأغرار يرون انسحاب خالد ومَن معه فِراراً يُقابل بحثو التراب.

---

240) ابن حجر ، فتح 513/7.
241) أخرجه البخاري ، (انظر: فتح الباري 180/6).
242) با شميل ، غزوة مؤتة ، ص 288.
243) غزوة مؤتة والسرايا ، ص344

أي جيل قوي نابه هذا الجيل الذي صنعه الإيمان بالحق؟!.. أي نجاح بلغته رسالة الإسلام في صياغة أولئك الأطفال العظام؟!.. مَن آباؤهم؟!.. مَن أُمَّهاتهم؟!.. كيف كان الآباء يُرَبّون؟!.. وكيف كانت الأمّهات يُدَلِّلْن؟!.. إنَّ مسلمة اليوم بحاجة ماسّة إلى أن تعرف هذه الدروس" (244)."وحين ترتفع الوتيرة الإيمانية لدى الفتيان الناشئين في الجيل الإسلامي إلى هذا المستوى، فلا شك أنَّ هذا التغيير هو الكفيل بتغيير حال المسلمين لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ [سورة الرعد: الآية 11](245)(246). وتعيير أهل مؤتة بالفُرّار لم يكن من الصبيان وحدهم، بل تعدَّاهم إلى بقية النَّاس مِمَّن لم يخرج، وبقي في المدينة مع رسول الله ص ، فقد "استنكر المسلمون على الجيش أن يعود من غير أن ينتصر، وعيّروا رجاله حتى أحرجوا بعضهم(247).

244) الغزالي ، فقه السيرة ، ص 369.
245) منير غضبان ، فقه السيرة ، ص 548.
246) غزوة مؤتة والسرايا ، ص350
247) الشريف: مكة والمدينة ، ص 537.

أخرج الحاكم بسندٍ صحيحٍ عن أمٍّ سلمة - ل - :

"أنَّها قالت لامرأة سلمة بن هشام بن المغيرة: ما لي لا أرى سلمة يحضر الصّلاة مع رسول الله ص ، ومع المسلمين؟ قالت: والله ما يستطيعأن يخرج، كُلَّما خرج صاح به النَّاس: يا فُرّار، أفررتم في سبيل الله عزَّ وجلَّ! حتَّى قعد في بيته فما يخرج، وكان في غزوة مؤتة مع خالد بن الوليد(248).وفي اللحظة المناسبة، يتدخَّل القائدُ البصيرُ المُحَنَّك الذي يدرك معنى النَّصر الحقيقي، ويدرك ظروف وملابسات معركة مؤتة، وما أبداه المسلمون فيها من بسالة، وبطولاتٍ حقيقيةٍ أذهلت أعداءهم.ويدرك ما قام به خالد والمسلمون من تنظيم انسحابٍ رائعٍ ومنظَّمٍ. يتدخَّل رسولُ الله ص بقوةْ ليَرُدَّ عن الجيش البطل الشجاع، ويَرُدَّ على تعيير أهل المدينة لهم بالفُرّار قائلاً: "ليسوا بالفُرّار، ولكنَّهم الكُرّار إن شاء الله تعالى(249).ويأمر سلمة وغيره مِمَّن تحرَّج من تعيير المسلمين بالخروج إلى الصّلاة دون حرج، ودون وجل، فهم أبطال كُرّار على العدوِّ إن شاء الله تعالى، وليسوا فُرّاراً.

248) أخرجه الحاكم (المستدرك 45/3) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم لم يخرِّجاه. ووافقه الذهبي.
249) ابن هشام ، سيرة 382/4-383

وحتّى يُرَسِّخ هذه الحقيقة في نفوس الجميع، اجتمع رسولُ الله ص مع الجيش وقائده البطل خالد بن الوليد رضي الله عنه، فقام عوف بن مالك الأشجعي ا ، فقصّ على النَّبيَ ص: قصة المددي(250)، وما فعل خالد فقال خرجت مع زيد بن حارثة في غزوة مؤتة ورافقني مَدَديّ من اليمن.......ومضينا فلقينا جموع الروم، فيهم رجل على فرس له اشقر عليه سرج مذهب وله سلاح مذهب، فجعل الرومي يضرب بالمسلمين، فقعد له المددي خلف صخرة فمر به الرومي فعرقب فرسه بسيفه، وفر الرومي، فعلاه بسيفه فقتله وحاز فرسه وسلاحه فلما فتح الله للمسلمين، بعث إليه خالد بن الوليد فأخذ منه بعض السلب قال عوف: فأتيت خالداً، وقلت له: أما علمت أن رسول الله - ص - قضى بالسلب للقاتل؟ قال بلى – ولكني أستكثرته، قلت لتردنها إليه أو لاعرفنكها عند رسولا لله - ص -، فأبى أن يرد عليه.قال عوف: فاجتمعنا عند رسول الله ص قصصت عليه قصة المددي وما فعل خالد، فقال رسول الله - ص -: يا خالد ما حملك على ما صنعت؟ قال استكثرته، فقال: رد عليه الذي أخذت منه.قال عوف: فقلت: دونكها يا خالد، ألم أوف لك؟ فقال رسول الله - ص – وما ذلك؟ فأخبرته قال: فغضب رسول الله - ص - وقال: يا خالد لا ترد عليه، هل أنتم تاركون لي أمرائي، لكم صفوة أمرهم وعليهم كدره(251).

250) مددي أي جاء مدداً. وفي رواية: رجل من حمير.
251) مسلم، كتاب الجهاد، ص1373 رقم 1753.

هذا موقف عظيم من النبي - ص - في حماية القادة والأمراء من أن يتعرضوا للإهانة بسبب الأخطاء التي قد تقع منهم، فهم بشر معرضون للخطأ، فينبغي السعي في إصلاح خطئهم من غير تنقُّص ولا إهانة، فخالد حين يمنع ذلك المجاهد سلبه لم يقصد الإساءة إليه وإنما اجتهد فغلَّب جانب المصلحة العامة، حيث استكثر ذلك السلب على فرد واحد، ورأى أنه إذا دخل في الغنيمة العامة نفع عدداً أكبر من المجاهدين، وعوف بن مالك أدى مهمته في الإنكار على خالد، ثم رفع الأمر إلى رسول الله - ص - حينما لم يقبل خالد قوله، وكان المفترض أن تكون مهمته قد انتهت بذلك، لأنه -والحال هذه- قد دخل في أمر من أوامر الإصلاح، وقد تم الإصلاح على يده، ولكنه تجاوز هذه المهمة حيث حوّل القضية من قضية إصلاحية إلى قضية شخصية، فأظهر شيئاً من التشفي من خالد، ولم يقره النبي - ص - على ذلك، بل أنكر عليه إنكاراً شديداً وبين حق الولاة على جنودهم، وكون النبي - ص - أمرا خالداً بعد رد السلب على صاحبه لا يعني أن حق ذلك المجاهد قد ضاع، لأنه لا يمكن أن يأخذ رسول الله - ص - إنساناً بجريرة غيره، فلابد أن ذلك المجاهد قد حصل منه الرضا، إما بتعويض عن ذلك السلب أو بتنازل منه أو غير ذلك فيما لم يذكر تفصيله في الخبر(252).

252) التاريخ الاسلامي للحميدي ، 130/7

إن الأمة التي لا تقدر رجالها ولا تحترمهم لا يمكن أن يقوم فيها نظام، إن التربية النبوية استطاعت بناء هذه الأمة بناءَ سليماً، وما أحرى المسلمين اليوم أن يكون كل إنسان في مكانه وأن يحترم ويقدر ، بمقدار ما يقدم لهذا الدين، ويبقى الجميع بعد ذلك في الإطار العام الذي وصف الله به المؤمنين: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ [ سورة المائدة:54] وفي قوله - هـ -: (هل أنتم تاركون لي أمرائي) وسام آخر يضاف إلى خالد - ا- حيث عُدَّ من أمراء الرسول - ص - وهذا من المنهاج النبوي الكريم في تقدير الرجال(253).

## حزن النَّبِيَ ص وأصحابه على قتلى مؤتة

وهكذا دافع النَّبيِّ ص عن خالد وأصحابه، وكرّمهم في أكثرمن مناسبة، ولكنَّه مع ذلك قد وَجِدَ على مَن استشهد منهم، فكما رأينا سابقاً كيف وَصَفَ للنَّاس حادث استشهادهم، وعيناه تذرفان بأبي هو وأمِّي، - صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم (254).

253) معين السيرة، ص378.
254) غزوة مؤتة والسرايا ، ص452

وتُحَدِّثنا أُم المؤمنين، عائشة - ل - فتقول:"لَمّا جاء قتل زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب، وعبد الله بنرواحة ي، جلس رسول الله ص يُعْرَفُ فيه الحُزْن، قالت عائشة: وأنا أطَّلِع من صائر الباب - تعني مِن شِقّ الباب - فأتاه رجل، فقال: إي رسول الله!إنَّ نساء جعفر(255).. وذكر بكاءهُنَّ، فأمره أن ينهاهُنَّ..." (256).ثُمَّ إنَّ رسولَ الله ص أمر أهله، فقال: "اصنعوا لأهل جعفر طعاماً فإنَّهم قد جاءهم ما يشغلهم(257).

قال عبد الله بن جعفر - ب: "ثُمَّ أمهل آل جعفر ثلاثاً أن يأتيهم، فقال لا تبكوا على أخي بعد اليوم، ثُمّ قال: ائتوني ببني أخي، فجيء بنا، كأنَّاأفراخ(258)، فقال: ادعوا إليّ الحلاَّق، فجيء بالحلاَّق فحلق رؤوسنا، ثُمّ قال: أمّا مُحَمّدٌ فشبيه عمنا أبي طالب، وأمّا عبد الله فشبيه خَلْقِي وخُلُقي، ثُمَّ أخذ بيدي فأشالها(259)، فقال: اللَّهُمّ اخلف جعفراً في أهله، وبارك لعبد الله في صفقة يمينه قالها ثلاث مرّات - ثُمَّ جاءت أُمّنا فذكرت يتمنا، وجعلت تُفَرِح له (260)، فقال العيلة تخافين عليهم وأنا وليّهم في الدُّنيا والآخرة!" (261).

---

255) قال ابن حجر (فتح 514/7): يُحتمل أنه يريد زوجاته، ويحتمل أن يريد من يُنسب إليه من النساء في الجملة. وهذا الثاني هو المعتمد، لأنا لا نعرف لجعفر زوجة غير أسماء بنت عميس.

256) أخرجه البخاري (الصحيح 87/5).

257) أخرجه أبو داود، (انظر: عون المعبود، حديث: 3116). والترمذي، (انظر: تحفة الأحوذي، حديث: 1003). وابن ماجه، (السنن، حديث: 1610).والحاكم، (المستدرك 527/1).والدارقطني، (78/2-79).والبيهقي، (السنن 61/4).والطبراني، (المعجم 108/2).

258) أفراخ: جمع فرخ، وهو ولد الطائر.

259) أشالها: أي رفعها بيده.

260) من أفرحه إذا غمَّه، وأزال عنه الفرح، وكأنَّما أرادت أنَّ أباهم توفي ولا عشيرة له.

261) أخرجه النسائي،(السنن الكبرى 180/5)، وأحمد، (المسند، حديث رقم: 1749)، والطبراني، (المعجم 105/2)، وابن سعد، (الطبقات 36/4-37).

وهكذا كان المصطفى ﷺ عطوفاً رحيماً، رقيق القلب، يواسي أُسَر الشهداء ويدعو لهم ولأبنائهم، ويكفلهم برعايته وحنانه.فهذا أُسامة بن زيد - ب ، يقف أمامه - عليه الصلاة والسلام ، فيتذكَّر أباه، فتدمع عيناه ﷺ شوقاً إليه، وحناناً وعطفاً به(262).ولا غرابة في ذلك، فهو نبيّ الرحمة المهداة.فها هو - أيضاً - عليه الصلاة والسلام ، يخفِّفُ عن أصحابه لَمَّا اشتدَّ حزنهم على مَن أُصيب في مؤتة، وبكوا:وهم حوله، فقال: ما يبكيكم؟ فقالوا: وما لنا لا نبكي وقد قُتِلَ خيارنا وأشرافنا وأهل الفضل مِنَّا، قال: لا تبكوا، فإنَّما مثل أُمَّتي مثل حديقة قام عليها صاحبها فاجتثَّ(263) رواكبها، وهيأ مساكنها، وحلق سعفها(264 )،فأطعَمَت عاماً فوجاً،ثُمّ عاماً فوجاً، ثُمّ عاماً فوجاً، ولعلَّ آخرها طعماً يكون أجودها قنواناً، وأطولها شمراخاً، والذي بعثني بالحق ليجدنَّ ابن مريم في أُمَّتي خلفاً من حواريه".وفي رواية أخرى: "ليدركن المسيح من هذه الأُمَّة أقوام إنَّهم لمثلكم أو خير منكم - ثلاث مرّات - ولن يخزي الله أُمةً أنا أولها والمسيح آخرها"(265).

262) أخرجه ابن أبي شيبة، (المصنّف519/14).وهذا لفظه،وابن سعد، (الطبقات63/4).
263) اجتثّ: اقتلع.
264) أي قصَّ سعف نخلها، والسعف من النخل بمثابة الورق من الشجر.
265) أخرجه الحكيم الترمذي (نوادر الأصول ص 157) ، ابن أبي شيبة (المصنف 517/4)، وحسَّن ابن حجر (فتح 6/7) إسناده ، كما أخرجه الحاكم (المستدرك 43/3).وصحَّحه المناوي (فيض القدير353/5).

وهكذا كان وَجْدُ الصّحابة - ي - على مَن أُصِيبوا بمؤتة شديداً، وكان مِمَّا بُكِيَ به أهل مؤتة من أصحاب رسول الله ص:

قول حسّان بن ثابت(266):

تَأَوَّبَنِي لَيْلٌ بِيَثْرِبَ أَعْسَرُ وَهَمٌّ إذا نُوَّمَ الناسُ مُسْهِرَ(267)

لِذِكْرَى حَبِيبِ هَيّجت لِي عَبْرَةٌ سَفُوحاً وَأَسْبَابُ البُكَاءِ التَّذَكُّرُ(268)

بَلَى! إنَّ فُقْدَانَ الْحَبِيبِ بَلِيّةٌ وَكَمْ مِنْ كَرِيمٍ يُبْتَلَى ثُمَّ يَصْبِرُ

رَأَيْتُ خِيَارَ النَّاسِ تَوَارَدُواْ شَعُوباً وخلفاً بعَدَهُم يَتأَخَّرَ(269)

---

266) ابن هشام (سيرة 4/383-384)

267) تأوَّبني: أي عاودني ورجع إليَّ. وأعسر: معناه عسير. ومسهر: أي مانع من النوم.

268) عبرة: أي دمعة. والسفوح: السائلة.

269) تواردوا شعوب - بفتح الشين - اسم للمنية، من قولك: شَعبت الشيء إذا مزَّقته. وخلفاً: يعني مَن يأتي بعد.

فَلا يُبْعِدَنَّ اللهُ قَتْلَى تَتَابَعُواْ بِمُؤْتَةَ مِنْهُم ذُو الْجَناحَينِ جَعْفَرُ(270)

وزَيْدٌ، وعبدُ اللهِ حِينَ تَتَابَعُوا جَمِيعاً وَأَسْبَابُ المَنِيَّة تَخْطُرُ

غَداة مَضَواْ بِالْمُؤْمِنِينَ يَقُودُهُم إلى المَوْتِ مَيْمُون النَّقِيبَةِ أَزْهَرُ(271)

أغرَّ كَضَوْءِ البَدْرِ مِن آلِ هَاشِمٍ أَبِيٌّ إِذَا سِيمَ الظَّلامَةَ مُجْسِرُ(272)

فَطَاعَنَ حَتَّى مَالَ غَيْرَ مُوَسَّدِ بِمُعْتَرَكٍ فِيهِ القَنَا مُتَكَسِّرُ(273)

---

270) أسباب المنية تخطر: يقال خطر في مشيته، إذا تبختر فيها وتحرَّك.
271) ميمون النقيبة: أي مسعود ومنجح فيما يطلبه، وأزهر: أي أبيض.
272) أبيٌّ: عزيزٌ. سِيمَ: إذا كلِّف. مجسر: كثير الجسارة.
273) المعترك: موضع الحرب.

## الأحكام المستنبطة من هذه الغزوة :

### جواز تعليق الإمارة بشرط

قال ابن حجر: "وفي الحديث جواز تعليق الإمارة بشرط (274).

فقد عين الحبيب محمد صلي الله عليه وسلم زيد بن حارثة أميراً على الجيش، فإن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب، فإن أصيب فعبد اللّه بن أبي رواحة (275). وقد اتخذ النبي ص في هذه السرية هذا الإجراء احتياطيّا للمرة الأولى، حيث ولّى عددا من الأمراء بالترتيب، والراجح أن النبي ص قد توقعأن تحف بالسرية الأخطار بسبب بعد المسافة، وجهلهم بالمنطقة التي وجهوا إليها، وعدم حصول تجربة سابقة في الاحتكاك بقوات الإمبراطورية البيزنطية وحلفائها من القبائل العربية في بلاد الشام».وقال ابن حجر: "وفيه جواز تولية عدّة أمراء بالترتيب، وقد اختلف: "أتنعقد الولاية الثانية في الحال أم لا؟ والذي يظهر أنها في الحال تنعقد، ولكن بشرط الترتيب". وقيل: "تنعقد للأول فقط، وأما الثاني فبطريق الاختيار". واختيار، الإمام مقدم على غيره لأنه أعرف بالمصلحة العامّة(276)".

274) فتح الباري ، 513/7.
275) الواقدي ، المغازي 2/ 756 ، وابن سعد ، الطبقات 2/ 128
276) فتح الباري ، 513/7.

وفيه جواز التأمّر في الحرب بغير تأمير. قال البيهقي: "وفيه دلالة على أنّ الناس إذا لم يكن عليهم أمير، ولا خليفة أمير، فقام بإمارتهم مَنْ هو صالح للإمارة، وانقادوا له، انعقدت ولايته(277)".وذكر البغوي - نقلاً عن الخطّابي: "أنّ خالد بن الوليد تأمّر عليهم بعد ما أصيب الأمراء، من غير تأمير من النبيّ ص لمكان الضرورة، وذلك أنه نظر فإذا هو في ثغر مخوف لم يأمن فيه ضياع المسلمين، فأخذ الراية، وتولّى أمر المسلمين، ورضيه رسول اللّه ص ، فصار هذا أصلاً في كلّ أمر حدث ممّا سبيله أن يتولاّه الأئمّة، ولم يشهدوه، وخيف عليه الضياع، إنّ القيام به واجبٌ على من شهده من جماعة المسلمين، وإن لم يتقدّم منهم في ذلك، وكذلك إن وقع ذلك في واحدٍ خاصٍّ، نحو أن يموت رجلٌ بفلاة، فإنّ على من شهده حفظ ماله وإيصاله إلى أهله، وإن لم يوص به، كما يجب تكفينه وتجهيزه، لأنّ أمر الدّين على التّعاون والتّناصح(278)".

**جواز الاجتهاد في زمن النّبيّ ص:**

وفيه جواز الاجتهاد في زمن النّبيّ ص (279)".

277) السنن الكبرى ، 154/8.
278) شرح السنة 5/11، وفتح الباري 513/7.
279) فتح الباري 513/7.

## فضل خالد بن الوليد ا:

- وفيه فضيلة ظاهرة لخالد بن الوليد ا، حيث سمّاه رسولا للّه ص ، سيف اللّه، ولم يزل يعرف بهذا الاسم فيما بعد(280)".

## حكم عقر جعفر - ا – لفرسه:

- أمّا عقر جعفر - ا - لفرسه، فاختلف في حكمه، فقد علّق أبو داود على حديث عقر جعفر - ا - لفرسه في المعركة بقوله: "ليس هذا الحديث بالقوي(281)، وقد جاء نهي كثير من أصحاب رسول اللّه ص عن تعذيب البهائم وقتلها عبثاً(282)".قال السّهيلي: "وأمّا عقر جعفر فرسه، ولم يعب ذلك عليه أحد، فدلّ على جواز ذلك إذا خيف أن يأخذها العدو، فيقاتل عليها المسلمين، فلم يدخل هذا في باب النهي عن تعذيب البهائم وقتلها(283)".وقال ابن قدامة: "ويقوى عندي أنّ ما عجز المسلمون عن سياقهوأخذه، إن كان مِمَّا يستعين به الكُفّار في القتال، كالخيل، جاز عقرهوإتلافه، لأنّه مِمَّا يحرم إيصاله إلى الكُفّار بالبيع، فتركه لهم بغير عِوَض أولى بالتحريم،

280) انظر: العامري ، بهجة المحافل 393/1، ابن حجر ، فتح 513/7 .
281) أخرجه أبو داود (السنن 62/3-63)، وذكره ابن هشام ، السيرة 378/4
282) السّنن ، 62/3-63.
283) الروض الأنف ، 36/7-37.

وإن كان مِمَّا يصلح للأكل فللمسلمين ذبحه والأكل منه مع الحاجة وعدمها، وما عدا هذين القسمين لا يجوز إتلافه؛ لأنّه مجرّد إفساد وإتلاف، وقد نهى النبيَ ص عن ذبح الحيوان لغير مأكله(284)".

## الحكم باستشهاد القادة الثلاثة – ي:

وفي الحديث: "الحكم باستشهاد القادة الثلاثة ي ، فهم مِمَّن يقطع لهم بالجنّة، وذلك بشهادة رسول الله ص لهم، وذكر ذلك ابن كثير(285)".

وفي حديث الجناحين اللذين أثابهما الله عز وجل جعفراً اعنه بدلاًمن يديه اللتين قُطِعَتا،اختلف في معنى الجناحين، أهما على الحقيقة أم لا؟".قال ابن حجر: "روى النسفي عن البخاري أنه يقال لكلّ ذي ناحيتين جناحان، وأنّه أشار إلى أنّ الجناحين في هذه القصّة ليسا على ظاهرهما(286)".وقال السهيلي: "وممّا ينبغي الوقوف عليه في معنى الجناحين أنّهما ليسا كما يسبق إلى الوهم على مثل جناحي الطّائر وريشه، لأنّ الصورة الآدمية أشرف الصور وأكملها، وفي قوله - عليه السلام:"إنّ اللّه خلق آدم على صورته"، تشريف له عظيم، وحاشا للّه من التّشبيه والتّمثيل،

---

284) المغني ، 146/13.
285) البداية والنهاية ، 255/4.
286) فتح الباري ، 515/7.

ولكنها عبارة عن صفة ملكية، وقوة روحانية، أعطيها جعفر كما أعطيتها الملائكة، وقد قال اللّه تعالى لموسى مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ [سورة طه، الآية: 2]. فعبّر عن العضد بالجناح توسعاً، وليس ثَمَّ طيران، فكيف بمن أعطي القوة على الطيران مع الملائكة أخليق إذاً أن يوصف بالجناح مع كمال الصّورة الآدمية، وتمام الجوارح البشريّة، وقد قال أهل العلم في أجنحة الملائكة: "ليست كما يتوهم من أجنحة الطير، ولكنّها صفات ملكية لا تفهم إلاّ بالمعاينة، واحتجوا بقوله تعالى: الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۚ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [سورة فاطر، الآية: 1]. فكيف تكون كأجنحة الطير على هذا، ولم ير طائر له ثلاثة أجنحة ولا أربعة، فكيف بستمائة جناح كما في صفة جبريل - عليه السلام ، فدلّ على أنّها صفات لا تنضبط كيفيتها للفكر، ولا ورد - أيضاً - في بيانها خبر، فيجب علينا الإيمان بها، ولا يفيدنا علماً إعمال الفكر في كيفيتها، وكلّ امرئ قريب من معاينة ذلك(287)".

287) الروض الأنف ، 38/7-39.

**السّلْبَ قليلاً كان أو كثيراً للقاتل لا يُخَمّس:**

وفي حديث المدديّ، وقصّته مع خالد رضي الله عنه، من الفقه، كما ذكر الخطابي: "أنَّ الفَرَس مِن السّلْب، وأنّ السّلْبَ قليلاً كان أو كثيراً؛ فإنّه للقاتل لا يُخَمّس، ألا ترى أنّه أمر خالداً بردّه عليه مع استكثاره إيّاه، وإنَّما كان ردّه إلى خالد بعد الأمر الأوّل بإعطائه القاتل نوعاً من النكير على عوف ، وردعاً له وزجراً لئلاَّ يتجرأ الناس على الأئمة، ولئلاَّ يتسرعوا إلى الوقيعة فيهم، وكان خالد مجتهداً في صنيعه ذلك، إذ كان قد استكثر السّلْبَ، فأمضى له رسول الله ص اجتهاده لِمَا رأى في ذلك من المصلحة العامّة بعد أن كان خطّأه في الرأيالأوّل، والأمر الخاصّ مغمور بالعامّ، واليسير من الضرر محتمل للكثير من النفع والصلاح، ويشبه أن يكون النبيّ ص قد عوَّض المَدَدِيَّ من الخُمُس الذي هو له، وترضَّى خالداً بالصّفْحِ عنه، وتسليم الحكم له في السّلب(288)".ونلاحظ أن خالدا لما أخطأ في اجتهاده بمنع القاتل من السلب الكثير أمر النبي ص بوضع الأمر في نصابه بإعادة الحق إلى صاحبه

288) الخطابي ، شرح سنن أبي داود،حاشية ، 164/3،وانظر ، البغوي ، شرح السنة ، 11/3 .

ولكنه عليه الصلاة والسلام غضب لما سمع عوفا ا يعرّض بخالد ويتهكم عليه بقوله : هل أنجزت لك ما ذكرت لك من رسول الله ص ، وكان عوف قد جرّ برداء خالد لمّا مرّ بجانبه فقال ه : لا تُعطه يا خالد وهذا من باب ردّ الاعتبار إلى الأمير والقائدلأن في حفظ مكانته بين الناس مصلحة ظاهرة .

## جواز الإعلام بموت الميت:

- ويستفاد من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: "أنّ النّبيّ ص نعى زيداً، وجعفراً، وابن رواحة، قبل أن يأتيهم الخبر"... الحديث. جواز الإعلام بموت الميت، ولا يكون ذلك من النعي المنهي عنه، قال ابن المرابط: "النعي الذي هو إعلام الناس بموت قريبهم مباح، وإن كان فيه إدخال الكرب والمصائب على أهله، لكن في تلك المفسدة مصالح جمّة لما يترتّب على معرفة ذلك من المبادرة لشهود جنازته، وتهيئة أمره، والصلاة عليه، والدّعاء له، والاستغفار، وتنفيذ وصاياه وما يترتّب على ذلك من الأحكام".وأمّا نعي الجاهليّة: "فقال سعيد بن منصور: "أخبرنا ابن علية،عن ابن عون قال: "قلت لإبراهيم: "أكانوا يكرهون النعي؟ قال نعم".قال ابن عون: "كانوا إذا توفي الرجل ركب رجل دابة، ثُمّ صاح في النّاس "أنعى فلاناً"، وبه إلى ابن عون قال: قال ابن سيرين: "لا أعلم بأساً أن يؤذن الرجل صديقه وحميمه".

وحاصله أنّ محض الإعلام بذلك لا يكره، فإن زاد على ذلك فلا، وقد كان بعض السلف يُشَدِّد في ذلك حتى: "كان حذيفة إذا مات له الميّت يقول: "لا تؤذنوا به أحدّاً، إنّي أخاف أن يكون نعياً، إني سمعت رسول الله ص بأُذُنَيَّ هاتين ينهى عن النعي". أخرجه الترمذي، وابن ماجه بإسنادِ حسنٍ".قال ابن العربي: "يؤخذ من مجموع الأحاديث ثلاث حالات:

الأولى: إعلام الأهل والأصحاب وأهل الصلاح، فهذا سُنة.

الثانية: دعوة الحفل للمفاخرة، فهذه تكره.

الثالثة: الإعلام بنوعٍ آخر كالنياحة ونحو ذلك فهذا يَحْرَم(289).

## معجزة إعلام النبي ص باستشهاد القادة :

وفي إخبار النبي ص النّاس بمصاب أهل مؤتة، علم ظاهر من أعلام النَّبوّة(290)".

---

289) ابن حجر ، فتح الباري 3/116-117، 7/513 ، غزوة مؤتة والسرايا ، ص 456

290) فتح الباري ، 7/513.

## مشروعية الحزن علي فقد عزيز وإقامة العزاء :

وفي حديث عائشة - ل - الذي ذكرت فيه ظهور الحزن على رسول الله ص حينما عرف بمصاب أصحابه في مؤتة من الفوائد:

بيان ما هو الأولى بالمصاب من الهيئات، ومشروعية الانتصاب للعزاء على هيئته، وملازمة الوقار والتثبّت".

ويؤخذ منه - أيضاً: "أنّ ظهور الحزن على المصاب إذا أصيب بمصيبة لا يخرجه عن كونه صابراً راضياً إذا كان قلبه مطمئناً، بل قد يُقال: "إنّ مَن كان ينْزعج بالمصيبة ويعالج نفسه على الرضا والصبر أرفع مرتبة مِمَّن لا يبالي بوقوع المصيبة أصلاً، أشار إلى ذلك الطبري(291)".

## مشروعية صنع الطعام لأهل الميت :

وفي حديث أمر النبي ص بصنع طعام لآل جعفر، فيه ندب تهيئة طعام لأهل الميّت، والإلحاح عليهم في أكله لئلا يضعفوا بتركه(292)".قال السهيلي: "وهذا أصل في طعام التعزية، وتسميه العرب الوضيعة"(293)".

---

291) فتح الباري ، 515-514/7.
292) العامري ، بهجة ، 1 /390-391 .
293) الروض ، 42/7.

قال ابن إسحاق: "سمعت عبد الله بن أبي بكر يقول: "لقد أدركت الناس بالمدينة إذا مات لهم ميّت، تكلّف جيرانهم يومهم ذلك طعامهم، فلكأني أنظر إليهم قد خبزوا خبزاً صغاراً، وصنعوا لحماً، فجُعِل في جفنة، ثُمّ يأتون به أهل الميّت، وهم يبكون على ميِّتهم، مشتغلين، فيأكلونه لقول رسول الله ص لأهله حين أُصيب جعفر: "لا تغفلوهم أن تصنعوا لهم طعاماً يومهم هذا، ثُمّ إنّ الناس تركوا ذلك"(294).

## إظهار الحزن ثلاثاً :

وفي حديث عبد الله بن جعفر - ب - ، وقوله: "ثُمّ أمهل آل جعفر ثلاثاً أن يأتيهم، ثُمّ أتاهم فقال: "لا تبكوا على أخي بعد اليوم".قال ابن كثير: "وهذا يقتضي أنّه - عليه الصلاة والسلام - أرخص لهم في البكاء ثلاثة أيام، ثُمّ نهاهم عنه بعدها(295)".

294) البيهقي ، دلائل 370/4
295) البداية والنهاية ، 252/4. وكانت الرخصة في البكاء العادي، وليس النياحة المنهي عنها ابتداءً.

## جواز بكاء المرأة على زوجها المتوفي:

أخذ هذا من فعل أسماء بنت عميس ل حينما نعى النبي ص زوجها ومن معه، فبكت وصاحت ، فلم ينكر عليها النبي - ص -، ولم ينهها عن ذلك،ولو كان ممنوعاً لنهاها عن ذلك، والبكاء الذي نهى عنه الاسلام هو ماكان سائداً عند أهل الجاهلية من النواح واللطم وشق الجيوب، والتبرم بقضاء الله وقدره، وما الى ذلك مما يكون سبباً في معصية الخالق سبحانه.

## زواج أبي بكر الصديق من أسماء بنت عميس:

وبعد أن انقضت عدة أسماء بنت عميس خطبها أبوبكر الصديق - ا- فتزوجها وولدت له محمد بن أبي بكر وبعدما توفي الصديق تزوجها بعده علي بن أبي طالب وولدت له أولاداً ا وعنها وعنهم أجمعين(296).

وقد ذكر ابن كثير أن أسماء بنت عميس رثت زوجها جعفر بن أبي طالب بقصيدة تقول فيها:

296) البداية والنهاية (353/4).

فآليت لا تنفك نفسي حزينة عليك ولا ينفكّ جلدي أغبرا

فلله عينا من رأى مثله فتى أكر وأحمر في الهياج وأصبرا(297)

**مشروعية الرثاء :**

أمّا بالنسبة للمراثي(298)التي قيلت في أهل مؤتة، فيؤخذ منه جواز رثاء الميّت، وقد رثت فاطمة - ل - أباها هـ، ورثاه غيرها، وفعله كثيرٌ من الصحابة - ي- ، وغيرهم من العلماء - رحمهم الله - ، وما ورد من النهي عنها محمول على ما يظهر فيه تبرم أو على فعله مع الاجتماعله،أو على الإكثار،أو على ما يجدد الحزن(299)".

ومما يدلّ على جوازه أيضاً هو فعل الصحابة له في حياة النبيّ ص ، حيث رثى الشعراء من الصحابة أمثال حسّان بن ثابت ا ، وغيره شهداء بدر، وأُحُدٍ، وغيرهما من الغزوات والسرايا دون اعتراض من النبيّ ص ، مِمَّا يعدّ تقريراً لذلك". والله تعالى أعلم"(300).

297) البداية والنهاية (353/4).
298) جمع مرثية، وهي عدّ محاسن الميّت نظماً ونثراً.
299) العامري: "بجهة المحافل ، 395/1.
300) غزوة مؤتة والسرايا ، ص458

## الدروس المستفادة:

لقد خرج المسلمون من هذه الغزوة بدروس وعبر جمها ، علي الأمة أن تضعها في اعتبارها في شتى شئونها من هذه الدروس :

## أهمية معركة مؤته :

تعتبر هذه المعركة من أهم المعارك التي وقعت بين المسلمين وبين النصارى الصليبيين من عرب وعجم، لأنها أول صدام مسلح ذي بال بين الفريقين، وأثرت تلك المعركة على مستقبل الدولة الرومانية، فقد كانت مقدمة لفتح بلاد الشام وتحريرها من الرومان ونستطيع أن نقول أن تلك الغزوة هي خطوة عملية قام بها النبي - ص - للقضاء على دولة الروم المتجبرة في بلاد الشام، فقد هز هيبتها من قلوب العرب وأعطت فكرة عن الروح المعنوية العالية عند المسلمين، كما أظهرت ضعف الروح المعنوية في القتال عند الجندي الصليبي النصراني، وأعطت فرصة للمسلمين للتعرف على حقيقة قوات الروم، ومعرفة أساليبهم في القتال(301).

---

301) لصراع مع الصليبيين، ص64.

## أخلاق الحرب في الإسلام ( الوصايا التي زود بها الحبيب محمد ص جيش مؤتة) :

فلقد كانت التوصيات التي تزوّد بها جيش مؤتة من القائد الأعلى للقوات الإسلامية ه تُعَدُّ من أعظم وأرقى قوانين حرب الفروسية المشرفة على مدى التاريخ الإنساني قاطبةً، فلَمْ ولن تعرف أُمّة من الأُمَم السابقة واللاحقة مثل تلك الآداب الحربية التي كان المسلمون يطبّقونها في حروبهم ضدّ أعدائهم، والتي تُعدّ بحقّ وثيقة فعلية تطبيقية لحقوق الإنسان على أرض الواقع، لا على واقع الحبر والورق، وأرفف المنظّمات والهيئات، لقد كان الجندي المسلم يسير بانضباطٍ عجيبٍ، مطَبِّقاً الأوامر والتعليمات الصادرة إليه من رؤسائه بصورةٍ تلقائية عفوية لأنّه يعتبر ذلك جزءً حيويّ من دينه الذي يسعى ويحرص كُلِّ الحرص على تقديم الصورة الصحيحة عنه".وهكذا كان كُلّ جندي من جنود الإسلام الأوائل عبارة عن قدوة صالحة تمثّل الإسلام أصدق تمثيل في كُلّ مكانٍ حلّ به.

"لقد أدهشت النتائج السريعة الإيجابية لحركة الفتوح الإسلامية جميع المحلّلين على اختلاف مشاربهم ودياناتهم، ولكن المُحَلِّل المُنْصِف ستزول دهشته حتماً عندما يقرأ تلك التعاليم والوصايا النبوية لقوّاد وجنود السرايا والبعوث، والتي هي نواة حركة الفتوح الإسلامية، وأصبح الذين شاركوا بالأمس في السرايا والبعوث مشاركين اليوم على رأس تلك الجيوش الفاتحة، مقتدين نفس النهج، سائرين على نفس الطريق الذي رسمه لهم قائد الأمة المصطفى ﷺ، حتى تلك الأوامر والتعاليم النبوية صارت تتكرّر على ألسنة الخلفاء، وقادة جيوش الفتح فيما بعد"(302)."لقد كان تطبيق صحابة محمّد ﷺ هذا الدستور الحربي من أعظم الأسباب التي حبّبت الإسلام إلى نفوس غير المسلمين، فدخلوا فيه طائعين مختارين مستبشرين، لأنّهم رأوا حقيقة الإسلام متمثلة في سلوك أولئك الأصحاب الكرام الذين ربّاهم القرآن، وأدّبهم الرسول الكريم ﷺ (303)".

302) بريك أبو مايلة ، السرايا والبعوث حول المدينة ومكّة، ص 53.
303) باشميل ، غزوة مؤتة 264.

## إكرام النبي ص ل آل جعفر:

لما أصيب جعفر دخل رسول الله - ص - على أسماء بنت عميس فقال (ائتني ببني جعفر)، فأتت بهم فشمهم وقبلهم وذرفت عيناه، فقالت أسماء: أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء؟ قال: نعم، أصيبوا هذا اليوم، فجعلت تصيح وتولول فقال النبي - ص - : لا تغفلوا عن آل جعفر أن تصنعوا لهم طعاماً، فإنهم قد شُغلوا بأمر صاحبهم(304)، ونلحظ في هذا الخبر عدة أمور منها:

## حب الشهادة باعث للتضحية:

إن الصبر والثبات والتضحية التي تجلت في كل واحد من الأمراء الثلاثة وسائر الجند كان مبعثها الحرص على ثواب المجاهدين والرغبة في نيل الشهادة لكي يكرمهم الله برفقة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ويدخلون جنات الله الواسعة التي فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.وتقدَّم المسلمين لملاقاة عدوّهم المتفوِّق عليهم في العدد والعتاد، لأمرّ يُثير الدهشة فعلاً، وهو إن دلّ على شيء

304) السيرة النبوية لابن هشام (28/4).

فإنما يدل على ما كان يتمتّع به أولئك القوم من إيمانٍ عظيمٍ وقويً، ذلك الإيمان الذي جعلهم يستصغرون معه عدوّهم، وتنقلب معه موازين المعركة، فأصبح وقوداً أشعل نار الشجاعة والإقدام في نفوسهم، وأوقد الحماس في قلوبهم، وأيقظ كوامن قواهم البشرية المكنونة".نعم! لقد كان الإيمان المتّقِد في جوانح أولئك القوم يجعلهم أُناساً آخرين، فتراهم يطيرون في ساحات الوغى إلى الموت طيراناً، وينقضّونعلى أعدائهم، وكأنهم عقبان تُلاحِق فرائسها، كيف لا!؟ وهم يتحسّسون الجنّة ونعيمها، وكأنّهم يرونها أمامهم رأين العين، فيندفعون إليها جارفين أمامهم سدود الأعداء، جاعلين منها طُرُقاً مُمَهَّدة للدخول إليها".لقد تمَّلت هذه الحقيقة واضحة العيان في قتال القادة الثلاثة واندفاعهم بالمسلمين صوب أعدائهم في العمق، حتى أصبحت قصص استشهادهم صوراً رائعة للبطولة، يمكن أن يؤلّف في كلّ واحدةٍ منها كتابٌ مستقلّ".إنّهم فعلاً لا يقاتلون الناس بعددٍ ولا عدّة، كما ذكر عبد الله بن رواحة ا- القائد الثالث ، وإنما يقاتلون بتأييد الله عز وجل لهم، ووعده إيّاهم بالنصر والتمكين، وسواء قُتِلُوا أم غَلَبُوا، فهم في كِلا الحالين فائزون بِرِضَى الله عز وجل عنهم، وموعودون بالأجر العظيم يوم القيامة،

قال تعالى: ۞ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا [ سورة النساء:74] (305).

## من فقه القيادة:

إنه درس عظيم يقدمه لنا الصحابي الجليل ثابت بن أقرم العجلاني، عندما أخذ اللواء بعد استشهاد عبد الله بن رواحة آخر الأمراء، وذلك أداء منه للواجب، لأن وقوع الراية معناه هزيمة الجيش، ثم نادى المسلمين أن يختاروا لهم قائداً. وفي زحمة الأحداث قالوا أنت، قال: ما أنا بفاعل....فاصطلح الناس على خالد.

وفي رواية أن ثابتاً مشى باللواء إلى خالد فقال خالد: لا آخذه منك، أنت أحق به فقال: والله ما أخذته إلا لك.إن مضمون كلا الروايتين واحد، أن ثابتاً جمع المسلمين أولاً وأعطى القوس باريها فأعطى الراية أبا سليمان خالد بن الوليد(306)، ولم يقبل قول المسلمين: أنت أميرنا. ذلك أنه يرى فيهم من هو أكفأ منه لهذا العمل، وحينما يتولى العملمن ليس له بأهل، فإن الفساد متوقع، والعمل حينما يكون لله تعالى، لا يكون فيه أثر لحب الشهرة، أو حظ النفس.

305) غزوة مؤتة والسرايا ، ص459

306) التاريخ الإسلامي للحميدي (124/7).

إن ثابتاً لم يكن عاجزاً عن قيادة المسلمين -وهو ممن حضر بدراً- ولكنه رأى من الظلم أن يتولى عملاً وفي المسلمين من هو أجدر به منه، حتى ولو لم يمضعلى إسلامه أكثر من ثلاثة أشهر؛ لأن الغاية هي السعي لتنفيذ أوامر الله على الوجه الأحسن والطريقة الأمثل(307).إن كثيراً ممن يتزعمون قيادة الدعوة الإسلامية اليوم يضعون العراقيل أمام الطاقات الجديدة، والقدرات الفذة خوفاً على مكانتهم القيادية، وامتيازاتهم الشخصية، وأطماعهم الدنيوية، فعلى أولئك القادة أن يتعظوا من هذا الدرس البليغ لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد(308).

## تموين الجيش الإسلامي، وتسليحه:

وضَّحت رواية عوف بن مالك الأشجعي ا أنّ تموين جيش المسلمين كان يعتمد أحياناً على تبرعات الموسرين من المشاركين فيه، وتلك عادة حسنة للعرب في جاهليتهم(309)، زادها الإسلام قوّةً وتماسكاً حيث كان الصحابة ي يتسابقون في الإنفاق في سبيل الله تعالى باعتبار أنّه جهاد في سبيل الله بالإضافة إلى مجاهدتهم بأنفسهم، وذلك طاعة لله تبارك وتعالى ولرسوله هـ، وطلباً للأجر والمثوبة العظيمة من الباري عز وجل.

307) من معين السيرة للشامي، ص376.
308) السيرة النبوية - دروس وعبر في تربية الأمة وبناء الدولة ،496/2
309) ابن كثير ، البداية والنهاية ، 259/3 .

كما وضحّت الرواية كذلك مدى بساطة تسليح المسلمين بالمقارنة مع ما كان عليه الروم وحلفاؤهم من البهرجة والغطرسة والغرور، وتوضح أيضاً مدى بسالة جند الإسلام الأوائل، ومحاولتهم التواؤم مع الظروف، وعدم التسليم للنقص الواضح في عدّتهم وعتادهم، ولكن حسب إمكاناتهم، كما فعل ذلك المَدَدِيّ بصنعه درقة له من جلد الجزور".

يقول أبو أمامة ا: "لقد فتح الفتوح قوم ما كانت حلية سيوفهم الذهب والفضّة، وإنما كانت حلية سيوفهم العُلابي(310)، والآنك(311) والحديد(312)".

## مقاييس الإيمان وأثرها في المعارك:

لما توقف الجيش الإسلامي في معان يناقش كثرة جيش العدو وكانت المقاييس المادية لا تشجعهم على خوض المعركة ومع ذلك تابعوا طريقهم ودخلوا بمقاييس إيمانية، فهم خرجوا يطلبون الشهادة فلماذا إذن يفرون مما خرجوا لطلبه.قال زيد بن أرقم: كنت يتيماً لعبد الله بن رواحة في حجره، فخرج بي في سفره ذلك مُردْفي على حقيبة رحله، فو الله إنه ليسير ليلة إذ سمعته ينشد أبياتاً منها:

---

310) العلابي: "الجلود الخام غير المدبوغة. وقيل: "العصب تؤخذ رطبة فيشد بها جفون السيف وتلوى عليها فتجف.

311) الآنك: "الرصاص.

312) أخرجه البخاري (انظر: "فتح الباري 95/6).

وجاء المسلمون وغادروني بأرض الشام مُشتهى الثَّواء

فلما سمعتها منه بكيت. قال: فخفقني بالدرة وقال: وما عليك يالُكَعْ أن يرزقني الله الشهادة وترجع بين شعبتي الرّحل(313).إن المتأمل بعمق في غزوة مؤتة يساعدنا في معالجة الهزيمة النفسية والروحية التي تمر بها الأمة وإقامة الحجة على القائلين بأن سبب هزيمتنا التفوق التكنولوجي لدى الأعداء لقد سجل ابن كثير رأيه في هذه المعركة وقال: (......هذا عظيم جداً أن يقاتل جيشان متعاديان في الدين؛ أحدهما وهو الفئة التي تقاتل في سبيل الله -عدتها ثلاثة آلاف، وأخرى كافرة وعدتها مائتا ألف مقاتل، من الروم مائة ألف ، ومن نصارى العرب مائة ألف، يتبارزون ويتصاولون ثم معهذا كله لا يُقتل من المسلمين إلا اثنا عشر رجلاً، وقد قتل من المشركين خلق كثير، هذا خالد وحده يقول: لقد اندقَّت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف، فما بقي في يدي إلا صفيحة يمانية، فماذا ترى قد قتل بهذه الأسياف كلها، دع غيره من الأبطال والشجعان من حملة القرآن، وقد تحكموا في عبدة الصلبان عليهم لعائن الرحمن في ذلك الزمان وفي كل أوان....) (314).

313) السيرة النبوية لابن هشام (24،25/4).
314) البداية والنهاية (259/4).

## التقدير والإكرام والإعجاب الذي حظي به جيش مؤتة من رسول الله :

لقد كان التقدير والإعجاب والإكرام الذي حظي به أهل مؤتة من القائد الأعلى رسول الله ص من العوامل التي جعلت جيش المسلمين من أنجح جيوش العالم في ذلك الوقت، وأعظمها وأرفعها معنوية".فحين يُقَدِّرُ القائد الجهدَ المبذول، ويعطيه حقّه من التقدير والإعجاب، بل ويُصَحِّح ردود الفعل الخاطئة التي كانت لدى بعضهم تجاه الجيش، لا شكّ أن ذلك يعطي أفراده الراحة النفسية التامّة، بل ويدفعهم إلى مزيدٍ من البذل،ومزيدِ من العطاء بلا حدود،ومواصلة المشوار بلا تردد".لقد كان المصطفى ه وسيظل للأبد، من أنجح القادة العالميّين على الإطلاق، وستظل مكافآته المعنوية سنية عظيمة، والتي كانت عبارة عن أوسمة رفيعة المستوى والشأن، على صدور حامليها غير مسبوقة، ولا ملحوقة بإذن الله تبارك وتعالى إلى أن يرث الله الأرض ومَن عليها".وفي حديث عوف بن مالك الأشجعي ا:"نلاحظ تأكيد الشارع ه على مراعاة حُرمة الأمير، والقائد، والإمام ومكانته بين الناس وترك التطاول عليه، وأنّ ذلك مِمَّا يفسد القلوب، ويؤدي بالتالي إلى التنازع المؤدّي للفشل، وفيه من الحض والتأكيد على السمع والطاعة لولاة الأمر مهما كانوا ومهما فعلوا ما لم يأمروا بمعصية".

وأنّهم يستحقون هذا الأمر لكونهم يكابدون مشقّة التّصدّي للأمور الخاصّة بالرّعية من السهر على راحتهم، والدفاع عنهم، يقول النووي: "ومعنى الحديث، أنّ الرعية يأخذون صفو الأمور، فتصلهم أعطياتهم بغير نكد، وتبتلى الولاة بمقاساة الأمور، وجمع الأموال على وجوهها، وصرفها في وجوهها، وحفظ الرعية، والشفقة عليهم، والذّبّ عنهم، وإنصاف بعضهم من بعض، ثُمّ متى وقع علقة أو عتب في بعض ذلك توجّه على الأمراء دون الناس(315).

لقد كان المصطفى ﷺ دائماً وأبداً حريصاً على أمّته، رءوفًا بهم، وفي تحذيره إياهم من منازعة أهل الأمر ومخالفتهم، فيه من المصلحة العامّة للأمّة ما لا يخفى إلاّ على المكابر المعاند، أو الجاهل المغرور، لأنّ ذلك مِمّا يوقع الفتن المهلكة التي تهلك الحرث والنسل، وتكون وبالاً على الأمّة، تُدَمِّر اقتصادها، وتعصف بمجتمعاته الآمنة، ويذهب ضحيتها الأبرياء"(316).

---

315) صحيح مسلم بشرح النووي ، 65/12.

316) غزوة مؤتة والسرايا ، ص459

**مواساته لأسر الشّهداء:**

كانت مواساة النّبيّ ص لأسر شهداء مؤتة، ورعايته وعطفه على أبنائهم، لفتةً أبويّةً حانية عطوفة من أبٍ رحيم عطوفٍ مشفقٍ، لا يأل جهداً في التخفيف عن معاناة أولئك وغيرهم من أفراد المجتمع الإسلامي بأسره".

كيف لا! وهو الذي كان يفيض حناناً، وشفقةً، ورحمةً". كيف لا! وهو الذي كانت حياته ﻫ بأبي هو وأمّي تكريساً لهذه الحقيقة".

ألم يصفه الباري عز وجل بذلك في القرآن بقوله تعالى

لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ [ سورة التوبة:128]. وكفى بالقرآن دليلاً وشاهداً(317)".

317 ) غزوة مؤتة والسرايا ، ص459

## الفوائد التي اكتسبها المسلمون من نتائج غزوة مؤتة:

لقد "كانت معركة مؤتة استطلاعية أفادت المسلمين كثيراً في معرفة خواص قوّات الروم، وأساليب قتالها، وخواص حلفائها من القبائل، وأساليب قتالهم وقوّتهم، فأفادوا من هذه المعلومات في قتالهم بعد ذلك ضدّ الروم، ولا تعدّ خسائر المسلمين الطفيفة شيئاً يُذْكَر بجانب الفائدة العسكرية التي أفادت من الاطلاع على خواص قوات الروم وحلفائها، وتنظيمهما، وتسليحها، وأساليب قتالها، مِمَّا سترى أثره في المعارك التي خاضها المسلمون فيما بعد(318)"."وإذا كانت الأمور بنتائجها، والأعمال بخواتيمها، فقد كفى المسلمين ظهوراً على عدوّهم، أنهم تركوا في نفوسهم أثراً من الرهبة، جعلهم يحجمونعن قتالهم، وينكلون عن متابعتهم"(319)."ومهما تكن الخاتمة التي لقيتها غزوة مؤتة فإن نتائجها وآثارها كانت بعيدة المدى، فبينما رأى الروم تلك الغزوة غارة من الغارات التي اعتاد البدو شنّها بين حين وآخر، كانت سرية زيد بن حارثة إلى مؤتة في الحقيقة غزوة من نوعآخر، لم تقدر إمبراطورية الروم أهميتها، فهي حرب منظّمة كانت لها مهمّة جديدة خاصّة، جعلت المسلمين يتطلّعون جدّياً إلى فتح أرض الشام(320).

318 ) خطاب ، الرسول القائد 309.

319 ) الدويدار ، "صور 527.

320) عبد العزيز زائد ، دروس من السيرة النبوية 105-106.

وحقيقةً - كما ذكر ابن كثير رحمه الله تعالى ، قد كانت مؤتة إرهاصاً لما بعدها من غزو الروم، وإرهاباً لأعداء الله ورسوله(321).

### سرية ذات السلاسل:

بعد عودة سرية مؤتة إلى المدينة في جمادى الآخرة سنة ثمان للهجرة (322) بلغ النبي ص ، أن قضاعة التي اشتركت في القتال إلى جانب الروم في مؤتة بدأت تتجمع مرة أخرى، وتريد الاقتراب من المدينة لتهديدها ، كما كانت هذه السرية لتأديب الأعراب في تلك الناحية، والأخذ بثأر المسلمين من القبائل التي اشتركت في غزوة مؤتة ضدّهم (323 )،كما ذكر بعضهم أنّه بناءَ على نتيجة غزوة مؤتة، كان لزاماً على رسول الله ص أن يستردّ هيبة المسلمين، ويُعِيد إليهم كرامتهم في تلك البلاد(324).وسواء قَصَدَ رسول الله ص تأديب الأعراب، وصدّ عدوانهم على أطراف الدولة الإسلامية عندما بلغته أخبار حشودهم وتحرّكاتهم، فتحرّك بسرعة لضربهم قبل استكمال استعداداتهم القتالية،

321) ابن كثير ، الفصول في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم 195. غزوة مؤتة والسرايا ، ص460
322) الطبري ، تاريخ 31/3، ابن سيد الناس ، عيون 204/2، ابن القيم ، زاد 157/2، والقسطلاني ، المواهب 554/1.
323) بن سيد الناس (عيون 204/2) ، (البيهقي ، دلائل 399/4-400) الغزالي ، فقه السيرة 370، والدكتور سيد طنطاوي ، السرايا الحربية ، ص 136 ، اللواء خطاب ، الرسول القائد صلى الله عليه وسلم ، ص 309.
324) الشريف: مكّة والمدينة 537، وهيكل: حياة محمّد صلى الله عليه وسلم ، ص 415.

كما هي عادته ه  دائماً مع أعدائه، أم أراد الثأر من القبائل العربية المنتصرة الحليفة للرومان، والتي شاركت إلى جانبهم في مؤتة، أو غير ذلك من الأسباب التي ذُكِرَت قديماً وحديثاً، فإنّ السبب الحقيقي وراء ذلك كُلِّه هو إعلاء كلمة الله عز وجل في تلك البقاع، ونشر الدعوة الإسلامية، بعد إزاحة القوى السياسية والعسكرية التي كانت تقف حجر عثرة  في وجه نشر الإسلام في المنطقة.والقبائل العربية المنتصرة والحليفة للدولة البيزنطية كانت من تلك  القوى، وكانت تقوم بتحرّكات مشبوهة ونشاطات معادية للمسلمين في المنطقة الشمالية من الجزيرة على أطراف الدولة الإسلامية، وبخاصّة بعد مؤتة، فكان لا بُدَّ من ردعها وإخضاعها لسيطرة المسلمين، لأنّ المسلمين - أيضاً - كانوا في وضع استعدادي متناسق ومتدرِّج لمنازلة الدولة البيزنطية، إحدى القوّتين العظميينفي ذلك الوقت،لوضع حدٍّ لسلطانهم، والقضاء على قوّتهم العسكرية والسياسية المناهضة لنشر الإسلام في المنطقة (325).فعلي الفور جهز النبي ص سرية من ثلاثمائة من المهاجرين والأنصار عهد بأمرها إلى عمرو بن العاص بهدف أن يقضي على خطر قضاعة  في مهده(326).فقد بَعَثَ رسولُ الله ص إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه."فقال: خُذ عليك ثيابك وسلاحك ثُمّ ائتني".قال عمرو ا:

325)غزوة مؤتة والسرايا والبعوث النبوية الشمالية ، ص 398

326) ابن سعد ، الطبقات 131/2 ، ابن هشام ، سيرة 623/4 ، فتح الباري ، 74/8

"فأتيته وهو يتوضّأ، فصعّد فيَ النظر، ثُمَّ طَأطأ، فقال: إنّي أُريد أن أبعثك في جيشٍ فيَسَلِّمك الله ويُغَنِّمك، وأرغب لك من المال رغبةً صالحة، قال: قلت: يا رسول الله! ما أسلمت من أجل المال. ولكني أسلمت رغبة في الإسلام، وأن أكون مع رسول الله ص. فقال: يا عمرو! نِعْمَ المال الصّالح للمرء الصالح"(327).وفي المسجد النبوي الشريف، كما هو المعتاد في مثل هذه الحالة، تَتِمّ مراسم تولية عمرو بن العاص ا رسمياً قائداً على الجيش.يُحدَّثُنا الحارث بن حسّان ا قال: قدمت المدينة:"فإذا المسجد غاصّ بأهله، وإذا راية سوداء تخفق، وبلال متقلِّد السيف بين يدي رسولِ الله ص ، فقلت: ما شأن النّاس؟"."قالوا:هذا رسول الله ص يريد أن يبعث عمر بن العاص وجهاً"(328).وعقد رسول الله ص لعمرٍ لواءَ أبيض، وجعل معه راية سوداء:"وأمرهأن يستعين بمن يَمُرّ به من بليّ(329)، وعذرة(330)، وبلقين"(331).ولعل الحكمة من إرسال هذه السرية تحت قيادة عمرو بن العاص هو أن بني بلي هم أخوال عمرو حيث أنّ أمّ العاص بن وائل كانت امرأة من بليّ، فبعثه رسول الله ص إليهم يستألفهم لذلك"(332).

---

327) أخرجه أحمد (المسند، حديث: 17730)، والبخاري، (الأدب المفرد ص 97)، والحاكم، (المستدرك 3/2)

328) أخرجه أحمد (المسند 482/3) ،وأخرجه النسائي (السنن الكبرى 181/5) .

329) بليّ : قبيلة كبيرة من قضاعة، يُنسبون إلى بلي بن عمرو بن قضاعة، ومن بلي جماعة من الصحابة. (قلائد الجمان ، ص 45، وفتح الباري 74/8).

330) بنو عذرة : قبيلة كبيرة من قضاعة، ينسبون إلى عذرة بن سعد، وكانوا معروفين بشدَّة العشق، وغلبة الهوى.(القلقشندي: قلائد الجمان ، ص 49، ابن حجر: فتح: 74/8).

331) أخرجه أحمد (المسند، حديث: 17730)، والبخاري، (الأدب المفرد ، ص 97)، والحاكم، (المستدرك 3/2)

332) الطبراني ، المعجم ، 340/20 ، ابن هشام ، سيرة ، 612/4

فانطلق عمرو بالجيش وكان يسير بالليل ويكمن النهار. فلمّا قرب من القوم بلغه أنّ لهم جمعاً كثيراً، فبعث رافع بن مكيث الجهني إلى رسول الله ص يستمدّه"(333).فندب رسول الله ص المهاجرين الأوّلين، فانتدب فيهم أبو بكر، وعمر بن الخطاب في سراة المهاجرين، وأمّر عليهم أبا عبيدة بن الجرّاح، فأمدّ بهم عمرو بن العاص"(334). وقال لأبي عبيدة حين وجّهه: "لا تختلفا"(335)."فلمّا قدموا على عمرو قال: أنا أميركم، وأنا أرسلت إلى رسول الله أستمده بكم. قال المهاجرون: بل أنت أمير أصحابك، وأبو عبيدة أمير المهاجرين، فقال عمرو: إنما أنتم مدد أُمْدِدتُ به، فلمّا رأى ذلك أبو عبيدة، وكان رجلاً حسنالخُلق، لَيِّن الشكيمة(336)، سعى لأمر رسول الله ص عليه، وعهده. قال: يا عمرو إنّ آخر ما عهد إليّ رسول الله ص أن قال: إذا قدمت على صاحبكفتطاوعا، وإنّك إن عصيتني لأطيعنّك. فسلّم أبو عبيدة الإمارة لعمرو بن العاص"(337)

333) ابن هشام ، سيرة ، 337/4-339 ، زاد المعاد ، 284/3.
334) ابن سعد ، طبقات ، 88/2 ،الواقدي ، مغازي ، 556/2
335) ابن سعد ، طبقات ، 88/2 ،الواقدي ، مغازي ، 556/2
336) أي: ليّن الخُلُق، سمحه.
337) ابن سعد ، طبقات ، 88/2 ،الواقدي ، مغازي ، 556/2

وتذكر بعض الروايات(338) أنّ ذلك الأمر لم يرق لبعض المهاجرين باعتبار أسبقيتهم للإسلام، ورأوا أن عمرو ا استبدّ بالإمارة دون أبي عبيدة بن الجراّح رضي الله عنه، وأنّه دارت مناقشات حول هذا الموضوع، ولكنّ أبا عبيدةا وبِمّا عُرِفَ عنه من الحكمة والكياسة، استطاع إقناعهم بالحُسنى بأنّه آثر الطاعة والامتثال لأمر النّبيّ ص خشية الفرقة والفتنة بين المسلمين(339).فأطاع الجيش كله لعمرو بن العاص رضي الله عنه، فكان عمرو يُصَلِّي بالناس، وكان الجوّ شاتياً شديد البرودة في تلك المناطق، ويوماً مّا: "أصابهم بردٌ شديدٌ، لَمْ يُرَ مثله، فخرج لصلاة الصّبّح فقال: والله لقد احتلمت البارحة، ولكنّي والله ما رأيت برداً مثل هذا، أهل مرّ على وجوهكم مثله؟ قالوا: لا. فغسل مغابنه(340) وتوضّأ وضوءه للصلاة، ثُمّ صلَّى بهم". وفي رواية: "فتيمّم"(341)

---

338) انظر رواية الشعبي عند أحمد ، المسند 196/1، ورواية الزهري عند عبد الرّزّاق (المصنَّف 452/5-454).

339) كان مِمَّا قال أبو عبيدة رضي الله عنه: "إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إليّ وإليه أن لا تتعاصيا، فخشيت إن لم أُطعه أن أعصى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدخل بيني وبينه الناس. وإني والله لأطيعنه حتى أقفل". تاريخ مدينة دمشق ، 70/2

340) المغابن: الأرفاغ. وهي بواطن الأفخاذ عند الحوالب. (الجوهري: الصحاح، وابن الأثير: النهاية، مادة: غبن).

341) أخرجه أبو داود (انظر: عون المعبود 532/1)، والحاكم (المستدرك 285/1) وهذا لفظه.

وكان قبل ذلك قد أصدر أوامره بمنع إشعال النيران في المعسكر لمدّة ثلاثة أيام رغم حاجتهم للتدفئة ، فغضب عمر بن الخطاب ا وقال لأبي بكر:"لِمَ لَمْ يدَع عمرو الناس أن يوقدوا ناراً ألا ترى إلى هذا الذي منع الناس منافعهم؟.فقالأبو بكر:دعه قائماً، ولاّه رسول الله ص علينا لعلمه بالحرب"(342). "فهدأعمر ا"(343).ثم أنّ المسلمين انطلقوا:حتّى نزلوا جبل طئ، فقال عمرو: انظروا إلى رجلٍ دليلٍ بالطريق، فقالوا: ما نعلمه إلاّ رافع بن عمرو، فإنّه كان ربيلاًفي الجاهلية"(344). - بإمعان المسلمين في طلب القوم حتّى وصلوا إلى تلك المنطقة البعيدة نسبياً عن المنطقة المحدَّدة سلفاً لعمليات السّرية، ويُشير إليه طلب القائد البحث عن دليل بالطريق - ثُمّ إنّهم لقوا في آخر ذلك جمعاً فحمل عليهم المسلمون فهربوا في البلاد وتفرّقوا فنهاهم عمرو ا أن يتبعوا العدوّ مخافة أن يكون لهم كمين من وراء الجبل"(345).ويبدو أنّ نتيجة ذلك الإمعان في طلب العدوّ وتقصّيهم حتّى آخر بلادهم، نفذ تموين الجيش، فيقول عوف بن مالك الأشجعي ا: "فأصابتنا مخمصة(346 ) شديدة فانْطَلقتُ ألتمس المعيشة فالتَقَيتُ قوماً يريدون أن ينحروا جزوراً لهم،

342) أخرجه ابن أبي شيبه (المصنف 531/12)
343) أخرجه الحاكم (المستدرك 45/3)
344) أي: كان لِصّاً في الجاهلية.
345) أخرجه ابن أبي شيبه (المصنف 531/12)
346) أي: جوع شديد.

فقلت: إن شئتم كفيتكم نحرها وعملها وأعطوني منها، ففعلتُ فأعطوني منها شيئاً فصنعته، ثُمّ أتيت عمرو بن العاص فسألني مِن أين هو؟ فأخبرته. فقال: أسمعك قد تعجّلت أجرك، وأبى أن يأكله، ثُمّ أتيت أبا عبيدة بن الجرّاح فأخبرته، فقال لي مثلها، وأبى أن يأكله، فلمّا رأيت ذلك تركتها"(347).وبعد أن أدّت السرية مهمّتها على أكمل وجه، رجع عمرو بن العاص ا بالجيش قافلاً إلى المدينة، وكان قد:"بعث عوف بن مالك الأشجعي بريداً إلى رسول الله ص يبشّره بما فتح الله عليهم"قال عوف: "فلمّا قفل الناس من ذلك السفر كنت أوّل قادم على رسول الله ص فجئته وهو يصلّي في بيته.فقلت:السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته"(348).قال: صاحب الجزور، ولم يزد عليّ شيئاً"(349).وتلك معجزة من رسول الله ص ، فقد ذكر له خبر الجزور، قبل أن يتكلم ويخبره عن خبرهم في تلك السّرية.وأثناء عودة الجيش إلى المدينة، وفي الطريق أراد رافع الطائي ا- دليل المسلمين في السرية - أن يصحب رجلاً صالحاً من أفرادها ينفعه الله به، فتوسّم في أبي بكر الصّدّيق اخيراً، فصحبه، يقول رافع: "فوفّق لي أبو بكر فكان يُنـــَيــَـمني على فراشه، ويلبسني كساء له من أكسية فدك"(350).

347) البيهقي (الدلائل 405/4).
348) ابن هشام ، سيرة ، 625/4-626 ، ابن كثير ، البداية 274/4 ، البيهقي ، دلائل 404/4
349) البيهقي ، الدلائل 405/4
350) أخرجه ابن خزيمة، كما ذكر ابن حجر (إصابة 497/1).

"فلمّا دنونا من المدينة قافلين قال: قلت: يا أبا بكر! إنّما صحبتك لينفعني الله بك، فانصحني وعلّمني. قال: لو لم تسألنِ ذلك لفعلت"(351).قال: أتحفظ أصابعك الخمس؟ قلت: نعم. قال: تشهد ألاّ إله إلاّ الله، وأن محمّداً عبده ورسوله، وتقيم الصلوات الخمس، وتؤتي الزكاة إن كان لك مال، وتحجّ البيت، وتصوم رمضان. حفظت؟ قلت: نعم. قال: وأخرى لا تُؤَمّرَنَّ على اثنين. قلت: هل تكون الإمرة إلاّ فيكم أهل بدر؟ قال: يوشك أن تفشو حتّى تبلغك ومَن هُو دونك، إنّ الله لَمّا بعثَ نبيّه ص دخل الناس في الإسلام، فمنهم من دخل فهداه الله، ومنهم مَن أكرهه السيف، فهم عوّاذ الله(352)، وجيران الله في خفارة الله(353 )، إن الرجل إذا كان أميراً فتظالم الناس بينهم فلم يأخُذ لبعضهم من بعض، انتقمَ الله منه. إنّ الرجل لتُؤخذ شاة جاره فيظل ناتئعضلته(354) غضباً والله من وراء جاره"(355).قال: ففارقته على ذلك"(356).

351) ابن هشام ، سيرة 625-624/4
352) أي: في عصمة الله ومنعه.
353) أي: في حراسة الله تبارك وتعالى.
354) أي: بارزاً عصب وجهه وحلقه، كنّى بذلك عن شدّة الغضب فإنه يبلغ من الشخص هذا المبلغ. والعضلة: هي كلّ لحمة مكتنزة غليظة.
355) أخرجه الطبراني ، المعجم 21/5، الهيثمي ، مجمع 202/5 .
356) ابن هشام ، سيرة 625-624/4

فلمّا قدموا على النـــّبيَ ص: "سأل رسول الله ص كيف وجدتم عمراً وصحابته لكم، فأثنوا عليه خيراً، وقالوا: يا رسول الله! صلّى بنا وهو جنب، فأرسل رسول الله ص إلى عمرو فسأله، فأخبره بذلك وبالذي لقي مِنَ البرد فقال: يا رسول الله! إنّ الله قال:يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا [سورة النساء، الآية: 29]. ولو اغتسلت مُت. فضحك رسول الله ص إلى عمرو"(357).كما ذكروا للنّبيَ ص ما صنعه عمرو بن العاص امن منعه إيّاهم إشعال النيران في معسكرهم رغم البرد الشديد، وحاجتهم للنار في التدفئة، ومنافعهم الأخرى، وشكوا إليه - أيضاً - منعه إيّاهم إتباع العدوّ رغم هزيمته وفراره(358). فقال: يا رسول الله إنـــّي كرهت أن آذن لهم أن يوقدوا ناراً فيرى عدوّهم قِلتّهم، وكرهت أن يتبعوهم فيكون لهم مدد فيعطفوا عليهم، فحمد رسول الله ص أمره.

357) أخرجه أبو داود ، انظر ، عون المعبود 532/1 ، والحاكم (المستدرك 285/1) وهذا لفظه.
358) الهيثمي (مجمع 319/5)، ورواية ابن أبي شيبه (المصنف 531/12)، ورواية ابن حبان (كتاب السير، حديث 4523)، والحاكم (المستدرك 45/3)،

فقال: يا رسول الله!من أحبّ الناس إليك؟ قال: لِمَ؟ قال: لأُحبَّ مَنْ تُحبّ. قال: عائشة. قال: من الرجال؟ قال: أبو بكر"(359) .

قال عمرو رضي الله عنه: "قلت: ثُمّ مَنْ؟ قال: عمر. فعدّ رجالاً فسكتُّ مخافة أن يجعلني في آخرهم"(360)

## الأحكام المستنبطة :

### جواز تأمير المفضول على الفاضل:

قال ابن حجر: وفي الحديث جواز تأمير المفضول على الفاضل، إذا امتاز المفضول بصفة تتعلق بتلك الولاية، ومنقبة لعمرو بن العاص لتأميره على جيش فيهم أبو بكر وعمر، وإن كان ذلك لا يقتضي أفضليته عليهم، لكن يقتضي أنّ له فضلاً في الجملة(361).

### مزية أبي بكر على الرجال، وبنته عائشة على النساء:

وقال ابن حجر - أيضاً : وفي الحديث مزية أبي بكر على الرجال، وبنته عائشة على النساء(362).

---

359) خرجه ابن حبان (انظر: الإحسان، حديث 4523)

360) أخرجه البخاري (الصحيح 192/4، 113/5) وقد أخرجه مسلم (الصحيح 9/5) وأحمد (المسند، حديث: 1777)،

361) فتح الباري 75/8.

362) فتح الباري 75/8.

## تفضيل أبي بكر، ثُمّ عمر على جميع الصحابة:

وقال النووي: وفيه دلالة تنبيه لأهل السّنّة في تفضيل أبي بكر، ثُمّ عمرعلى جميع الصحابة(363).و كان الصحابة - ي - يعرفون هذا الأمر جيَداً، ومتداوَلٌ بينهم، حتّى إنّ الشّباب من صغار الصحابة كانوا يُفَاضلون بين الصحابة بين يدي رسول الله ص ، فيقدّمون أبا بكر، ثم عمر، ثم عثمان، فلا يُنكر عليهم رسول الله ص ، فقد أخرج البخاري في الصحيح عن عبد الله بن عمر ا قال : "كُنَّا نخيّر بين الناس في زمن النّبيّ ص ، فنخيّر أبا بكر، ثُمّ عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان - ي"(364) . ونقل البيهقي عن الشافعي أنّه قال: "أجمع الصحابة وأتباعهم على أفضلية أبي بكر، ثُمّ عمر، ثُمّ عثمان، ثُم عليّ"(365). وفي قصّة رافع الطائي ا يظهر جلياً تميّز الصّدّيق ا في هيئته، ومظهره، وتعامله مع الناس، ذلك التميّز الواضح القويّ لاحظهرافع، فاختاره صاحباً له من بين جميع أفراد السرية، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على المواهب العظيمة التي حباها الله عز وجل لذلك الرجل العظيم.

---

363) صحيح مسلم بشرح النووي 153/15.
364) فتح الباري 16/7، 53.
365) ذكر ذلك ابن حجر: (فتح الباري 17/7)، نقلاً عنه.

حيث عرف الناس فضله وتميّزه، سواء القريبون منه في مجتمع المدينة الذين كانوا يرون بأعينهم، ويسمعون بآذانهم، ويلاحظون بحواسهم، تقديم المصطفى ه له وتفضيله إيّاه، وحديثه الدائم عنه عن أعماله الخَيَرة في خدمة الإسلام منذ اللحظة التي صدّق فيها رسولَ الله ص.أخرج البخاري في الصحيح حديث أبي الدرداء ا الذي فيه: فقال النّبيَ ص: "إنّ الله بعثني إليكم، فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدق، وواساني بنفسه وماله..." الحديث(366).أو الذين يرافقونه في البعوث والسرايا من الإعراب، فيلاحظون ذلك التميّز المُلْفِت للنظر لشخصية الصِّدِّيق امن خلال ما يرونه ويتوسّمونه فيه من خلال الخير، وأعمال البِرَ، وحُسن الخُلُق،وكرامة المظهر، وحُسنالتعامل، كما حدث هذا في هذه السرية، والله تعالى أعلم(367).

## جواز التيمّم لمن يتوقع من استعمال الماء الهلاك

وفي حديث عمرو بن العاص ا وأنّه صلّى بأصحابه وهو جُنُب لخوفه من شدّة البر. قال ابن حجر: "وفي هذا الحديث جواز التيمّم لمن يتوقع من استعمال الماء الهلاك سواء كان لأجل البرد أم غيره(368).وقال الخطابي: "وفيه من الفقه أنّه جعل عدم إمكان استعمال الماء كعدم عين الماء،

366) البخاري ، الفتح 7 (3661).
367) غزوة مؤتة والسرايا والبعوث النبوية الشمالية ، ص 427
368) فتح الباري 454/1

وجعله بمنْزلة مَن خاف العطش ومعه ماء، فأبقاه لشقته وتيمّم خوف التلف، وقد اختلف العلماء في هذه المسألة: فشدّد فيه عطاء ابن أبي رباحوقال: يغتسل وإن مات، واحتجّ بقوله: الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ ۖ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ [سورة المائدة، الآية: 5]. وقال الحسن نحواً من قول عطاء. وقال مالك وسفيان: يتيمّم، وهو بمنْزلة المريض وأجازه أبو حنيفة في الحضر وقال صاحباه: لا يجزيهفي الحضر، وقال الشافعي: إذا خاف على نفسه مِن شدّة البرد تيمّم وصلّى وأعاد كلّ صلاةٍ صلاّها كذلك، ورأى أنّه من العُذْر النّادر، وإنما جاءت الرّخص التامّة في الأعذار العامّة"(369).

369) حاشية سنن أبي داود 1/238-239.

## جواز صلاة المتيمِّم بالمتوضّئين وجواز الاجتهاد في زمن النّبيِّ ص:

وقال ابن حجر أيضاً: "وفي الحديث جواز صلاة المتيمِّم بالمتوضّئين، وجواز الاجتهاد في زمن النّبيِّ ص "(370).

## البعد عن الإمارة والرياسة:

وفي حديث رافع الطائي-رحمه الله تعالى-،وقصته مع أبي بكر ا تنفيرٌ من التّعرّض للرياسة، والوعيد لأهلها، وأمرهم بالاستقامة(371). وقد وردت في معناه أحاديث كثيرة عن النّبيِّ ص ، من ذلك قوله هـ لأبي ذرّ رضي الله عنه: "يا أبا ذرّ! أراك ضعيفاً، وإني أُحبّ لك ما أُحِبّ لنفسي، فلا تأمرنّعلى اثنين، ولا تولينّ مال اليتيم". وعنه قال: "قلت: يا رسول الله! ألا استعملني؟ فضرب على منكبي فقال: يا أبا ذرّ! إنّك ضعيف، وإنّها أمانة، وإنّها يوم القيامة حسرة وندامة إلاّ مَن أخذها بحقّها، وأدّى الذي عليه فيها". (372). قال النووي: "هذا الحديث وما أشبهه أصلٌ عظيمٌ في اجتناب الولايات"(373). وعن أبي هريرة ا إنّ رسول الله ص قال: "إنّكم ستحرصون على الإمارة، وستكون ندامة يوم القيامة". (374).

---

370) فتح الباري 454/1.
371) العامري: بهجة المحافل 365/1.
372) مسلم (الصحيح 105/4).
373) شرح صحيح مسلم.
374) البخاري (الصحيح 106/8).

## الدروس من هذه السرية :

### إخلاص عمرو بن العاص - ا -:

قال عمرو بن العاص: بعث إليّ رسول الله - ص - فقال: خذ عليك ثيابك، وسلاحك، ثم ائتني، فأتيته، وهو يتوضأ، فصعَّد فيّ النظر، ثم طأطأ، فقال: إني أريد أن أبعثك على جيش(375)، فيسلمك الله ويغنمك، وأرغب لك في المال رغبة صالحة، قال: قلت: يا رسول الله ص ما أسلمت من أجل المال، ولكني أسلمت رغبةفي الإسلام، وأن أكون مع رسول الله - ص - فقال رسول الله - ص -: يا عمرو نعم المال الصالح للمرء الصالح(376).فهذا الموقف يدل على قوة إيمان وصدق وإخلاص عمرو بن العاص للإسلام وحرصه على ملازمة رسول الله - ص -، وقد بين له رسول الله - ص - أن المال الحلال نعمة إذا وقع بيد الرجل الصالح، لأنه يبتغي به وجه الله ويصرفهفي وجوه الخير ويُعفُّ به نفسه وأسرته(377).

---

375) جيش سرية ذات السلاسل.

376) رواه ابن حبان كما في الموارد2277؛ صحيح السيرة، ص508. صححه الألباني ، صحيح الادب المفرد.

377) التاريخ الإسلامي للحميدي (133/7).

**الاتحاد قوة والتنازع ضعف:**

عندما وصل المدد الذي بعثه رسول الله - ص - بقيادة أبي عبيدة بن الجراح لجيش عمرو في ذات السلاسل، أراد أبو عبيدة أن يؤم الناس ويتقدم عمرو، فقال له عمرو: إنما قدمت علي مدداً لي، وليس لك أن تؤمني، وأنا الأمير، وإنما أرسلك النبي - ص - إليّ مدداً، فقال المهاجرون كلا، بل أنت أمير أصحابك وهو أمير أصحابه، فقال عمرو: لا، بل أنتم مدد لنا، فلما رأى أبو عبيدة الاختلاف وكان حسن الخلق، لين الطبع قال: لتطمئن يا عمرو وتعلمن أن آخر ما عهد إليّ رسول الله أن قال: إذا قدمت على صاحبك فتطاوعا ولا تختلفا وأنك والله أن عصيتني، لأطيعنك فأطاع أبو عبيدة، فكان عمرو يصلي بالناس(378).لقد أدرك أبو عبيدة - ا- أن أي اختلاف بين المسلمين في سرية ذات السلاسل يؤدي إلى الفشل ومن ثم تغلب العدو عليهم، ولهذا سارع إلى قطع النزاع وانضم جنديا تحت إمرة عمرو بن العاص امتثالاً لأمر الرسول ص لا تختلفا(379).

378) ابن سعد ، طبقات ، 88/2 ،الواقدي ، مغازي ، 556/2

379) غزوة الحديبية لأبي فارس، ص209.

**عبقرية عمرو بن العاص:**

ظهرت عبقرية عمرو العسكرية في ذات السلاسل في حرصه على وحدة الصف، وفي حرصه على سلامة قوته ويتجلى ذلك في عدة صورة منها:

**1- أنه كان يسير ليلاً ويختفي نهاراً:**

كان عمرو يدرك بثاقب بصره وبعد نظره أن العدو يمكن أن يسعى الى معرفة أخباره قبل اللقاء بينهما، فيستعد للقاء جيش المسلمين ولهذا رأى عمرو - ا- أن السير ليلاً والاختفاء نهاراً هو أفضل أسلوب للمحافظة على قواته وحقق بذلك أمرين مهمين:

- إخفاء تحركاته عن عدوه وبذلك يضمن سلامة قواته.- حماية الجند من شدة الحر وحتى يبقى لهم نشاطهم فيصلون إلى مكان المواجهة، وهم أقوياء على مجابهة أعدائهم.

**2- عدم السماح للجند بإيقاد النار:**

عندما طلب الجنود من عمرو أن يسمح لهم بإيقاد النار لحاجتهم الماسة الى التدفئة منعهم من ذلك معتمداً في ذلك على خبرته الحربية وعمق فكره العسكري وخوفاً من وقوع مفسدة أعظم من تلك المصلحة وهي أن يمتد الضوء فيكشف المسلمين -وهم قلة- لأعدائهم فيهجموا عليهم ويتجلى هذا الفقه في حزمه الشديد، مع أصحابه عندما كلمه أبو بكر في ذلك، فقال: لا يوقد أحد منهم ناراً إلا قذفته فيها،

فلما رجعوا إلى المدينة ذكروا ذلك لرسول الله - ص -، فسأله رسول الله - ص - فقال: كرهت أن آذن لهم أن يوقدوا ناراً فيرى عدوهم قلتهم، فأقره النبي - ص - على فعله.

**3- منع الجند من مطاردة أعدائهم:**

عندما هزم المسلمون أعدائهم طمعوا فيهم، فأرادوا مطاردتهم وتتبع فلولهم ولكن قائد السرية منع جنده من ذلك لئلا يترتب على هذه المطاردة مفسدة أعظم منها وهي أن يقع المسلمون في كمين ويتجلى هذا الفقه في قول عمرو بن ا لعاص - ا- للرسول الله - ص -: وكرهت أن يتبعوهم فيكون لهم مدد، فأقره النبي - ص - على هذا التصرف الحكيم الذي حقق للجيش الأمن والحماية(380).

---

380) القيادة العسكرية في عهد الرسول ، ص540.

## سرية أبي حَدْرَد الأسلمي إلى الغابة:

وفي أعقاب سرية ذات السلاسل، تحدثت المصادر التي تعنى بالسيرة والتاريخ عن سريتين أخريين قبل فتح مكة، أولهما سرية ابن حدرد إلى الغابة .وقد وقع الخلاف بين أهل المغازي في هذه السرية، فذكر الواقدي أنها كانت بقيادة أبي قتادة بن ربعي ا ، وذكر فيها مشاركة عبد الله بن أبي حدرد رضي الله عنهما الذي جاء يستعين رسول الله ص على نكاحه، فأرسله مع هذه السرية إلى غطفان نحو نجد لعله يصيب مهر زوجته، وفعلاً غنموا في تلك السرية نَعَمًا كثيرة وغنما بحيث كانت سُهمَانهم اثني عشر بعيرا (381).وكذلك أخرج الإمام مسلم في صحيحه (382). رواية مشابهة غير أنه لم يذكر فيها اسم الصحابي المستعين برسول الله ص (383)، ولكن هناك بعض القرائن الدالة على وحدة القصة مثل التاريخ الذي ذكره الواقدي للسرية لا يتعارض مع إمكانية رواية أبي هريرة اللخبر في الصحيح(384).

381) الواقدي، مغازي ، 780-777/2 ، الهيثمي، مجمع ، 607-206/6

382) النووي على مسلم ، 211-210/9 .

383) اختلفت الروايات في تسمية الصحابي المستعين برسول الله ه فرواية ابن خياط والطبري عن ابن إسحاق، والواقدي، وابن حجر ورد اسمه عندهم (عبد الله بن أبي حدرد) ونسبته رواية ابن هشام إلى أبيه، بينما وقع اسمه في رواية أحمد، ورواية البيهقي عن ابن إسحاق (أبو حدرد الأسلمي) ولعل الخلاف وقع لكون كل منهما له صحبة، فلعله اشتبه على بعض الرواة فجعلهما واحدا، أو أن كلمة ابن سقطت من بعض النساخ فتلقفها من بعده أبو حدرد، وباعتبار أن كليهما له صحبة لم يشك في الأمر وأمضاه. والله تعالى أعلم.أنظر : بريك بن محمد بريك أبو مايلة العمري ، السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة ، ص192

384) لأن أبا هريرة رضي الله عنه لم يهاجر إلا بعد خيبر، والتاريخ الذي ذكره الواقدي للسرية هو شعبان سنة ثمان، كما أن ابن حجر قد ذكر أن أول مشاهد عبد الله الحديبية ثم خيبر.

كما أن منطقة عمليات السرية وهدفها الذي توجهت إليه يكاد يكون واحدا في كلا الروايتين، ففي رواية الصحيح أنه هـ بعثهم إلى بني عبس، وفي رواية الواقدي أنه بعثهم إلى غطفان نحو نجد، ومعلوم أن بني عبس من غطفان ومسكنهم في نجد(385) فرواية الصحيح أخص وأدق من رواية الواقدي.وكذلك كون المرأة من الأنصار في الروايتين، وتقارب قيمة المهر المدفوع فيهما هو مائتا درهم في رواية الواقدي، وأربع أواق في رواية الصحيح، وقد صرح ابن حجر في "الإصابة" في رواية مختصرة ولكنها مماثلة لرواية الصحيح -خاصة فيما يتعلق بقيمة المهر- أنه ابن أبي حدرد نفسه(386).فكل هذه القرائن(387) تعطينا بعض الدلائل التي يمكن بواسطتها الحكم بوحدة القصة(388) إضافة إلي أن الحلبي اعتبرها قصة واحدة (389).وقد ذكر ابن إسحاق أن هذه السرية بعثها رسول الله ص إلى الغابة(390) بقيادة عبد الله بن أبي حدرد نفسه، وذلك لاستطلاع خبر رجلمن جشم بن معاوية يقال له رفاعة بن قيس -أو قيس بن رفاعة-

---

385) الكلبي، جمهرة النسب ، ص414.

386) ابن حجر، الإصابة ، 295/2 .

387) استدل بعض أهل المغازي بقرينة واحدة هي عدد سهمان الجيش على جعل هذه السرية هي السرية التي خرج فيها ابن عمر رضـــي الله عنهما وجاء ذكرها في الصـــحيحين. انظر ابن ســـيد الناس، عيون، 209/2 ، والشامي، سبل ، 290/6 ، وابن حجر، فتح ، 56/8 ، والزرقاني، شرح ، 284/2

388) أنظر : بريك بن محمد بريك أبو مايلة العمري ، السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة ، ص192

389) انظر الحلبي، سيرة ، 206/3 .

390) الغابة: هي أرض من مقصـــر جبل أحد إذا أكنع في قناة إلى الشـــمال، تشـــمل مدفع وادي النقمي في الخليل، ويمكن اعتبار الخليل كله من الغابة. البلادي، معجم ، 322 .

كان قد أقبل " في بطن عظيم من جشم حتى نزل بقومه ومن معه بالغابة، يريد أن يجمع قيسًا على حرب رسول الله ص ، وكان عبد لله بن أبي حدرد قد استعان برسول الله ص في صداق امرأة تزوجها وأصدقها مائتي درهم، فلم يجد رسول الله ص ما يعينه به، فلما أقبل هذا الرجل بقومه، استدعاه رسول الله ص ، وبعثه ورجلين معه في هذه السرية، وفي الغابة تطورت المهمة وباجتهاد من أصحاب السرية من الاستطلاع إلى هجوم ليلي مكثف على حاضر القوم بعد قتل صاحبهم رفاعة بن قيس فنجحوا في ذلك وفر الأعراب بنسائهم وأطفالهم وما خف من أموالهم تاركين نَعَمًا كثيرة خلفهم(391). ويروي لنا أبو حدرد قصة هذه الغزوة بقوله ، قال : تزوجت امرأة من قومي فأصدقتها مائتي درهم ، فأتيت رسول الله ص أستعينه على نكاحي ، فقال « كم أصدقت » ؟ فقلت : مائتي درهم ، فقال رسول الله ص: « سبحان الله والله لو كنتم تأخذونها من واد ما زاد ، لا والله ما عندي ما أعينك به » ، فلبثت(392) أياما ثم أقبل رجل من جشم بن معاوية يقال له رفاعة بن قيس ، أو قيس بن رفاعة في بطن (393)

---

391) انظر ابن هشام، سيرة ، 629/4 .

392) اللبث : الإبطاء والتأخير والانتظار والإقامة

393) البطن : الفرع من القبيلة

عظيم من جشم حتى نزل بقومه ومن معه بالغابة يريدأن يجمع قيسا على حرب رسول الله ص وكان ذا اسم وشرف في جشم ، فدعاني رسول الله ص ورجلين من المسلمين فقال : « اخرجوا إلى هذا الرجل حتى تأتوا منه بخبر وعلم » ، وقدم لنا شارفا (394)عجفاء ، فحمل عليها أحدنا فو الله ما قامت به ضعفا ، حتى دعمها الرجال من خلفها بأيديهم ، حتى استقلت وما كادت ، وقال : تبلغوا على هذه ، فخرجنا ، ومعنا سلاحنا من النبل (395) والسيوف حتى إذا جئنا قريبا من الحاضر مع غروب الشمس فكمنت في ناحية وأمرت صاحبي فكمنا في ناحية أخرى من حاضر القوم وقلت لهما : إذا سمعتماني قد كبرت وشددت في العسكر فكبروا وشدا معي ، فو الله إنا لكذلك ننتظر أن نرى غرة أو نرى شيئا وقد غشينا الليل حتى ذهبت فحمة العشاء ، وقد كان لهم راع قد سرح في ذلك البلد فأبطأ عليهم حتى تخوفوا عليه ، فقام صاحبهم رفاعة بن قيس فأخذ سيفه فجعله في عنقه وقال : والله لأتبعن أثر راعينا هذا ، ولقد أصابه شر فقال نفر ممن معه : والله لا تذهب ، نحن نذهب نكفيك ، فقال : لا يذهب إلا أنا ، قالوا : فنحن معك ، فقال : والله لا يتبعني منكم أحد ، وخرج حتى يمر بي فلما أمكنني نفحته بسهم فوضعته في فؤاده ،

394) الشارف : الناقة المسنة التي ارتفع لبنها
395) النبل : السهام

فو الله ما تكلم فوثبت إليه فاحتززت رأسه ، ثم شددت في ناحية العسكر وكبرت وشد صاحباي ، وكبروا فو الله ما كان إلا النجاء ممن كان فيه عندك بكل ما قدروا عليه من نسائهم وأبنائهم ، وما خف معهم من أموالهم واستقنا إبلا (396) عظيمة ، وغنما كثيرة ، فجئنا بها إلى رسول الله ص وجئت برأسه أحمله معي ، فأعطاني من تلك الإبل ثلاثة عشر بعيرا (397) في صداقي (398) فجمعت إلي أهلي(399).وذكر المؤرخون أن هذه السرية كانت في شعبان سنة ثمان (400)

## سرية أبي قتادة بن ربعي إلى بطن أضم :

أما السرية الثانية، فهي سرية أبي قتادة إلى بطن أضم (401) وكانت في أول رمضان سنة ثمان من الهجرة (402) ، فقبل خروج رسول الله ص إلى مكة، قام بعملية استعراضية مرسومة القصد منها تحويل انتباه قريش وحلفائها عن خطته لغزوها(403).

---

396) الإبل : الجمال والنوق ليس له مفرد من لفظه

397) البعير : ما صلح للركوب والحمل من الإبل ، وذلك إذا استكمل أربع سنوات ، ويقال للجمل والناقة

398) الصداق : المهر

399) البيهقي ، الدلائل ، 420/4

400) ابن كثير ، البداية والنهاية 4/ 249- 50 ، ابن هشام ، السيرة 4/ 367- 369 ، أحمد ، المسند 6/ 11- 12، الواقدي ، مغازي 2/ 777، البيهقي ، دلائل النبوة 4/ 303- 304، الطبري ، تاريخ ، 3/ 34 .

401) ماء على طريق مكة- اليمامة عند السمينة، ياقوت- معجم ، 1/ 281، وحدد ابن سعد في (الطبقات 3/ 179) المسافة بينها وبين المدينة بثلاثة برد.

402) الواقدي ، مغازي 2/ 797 بإسناد متصل، ابن سعد ، الطبقات 2/ 133.

403) ذكر ذلك الواقدي أثناء سياقه لغزوة الفتح حيث لم يفرد لهذه السرية فصلا خاصًّا بها، فقال: وبعث رسول الله ص أبا قتادة بن ربعي في ثمانية نفر إلى بطن أضم، ليظن ظان أن رسول الله ص توجه إلى تلك الناحية، ولأن تذهب بذلك الأخبار. المغازي ، 2/796-797 .

حيث أرسل رسول الله ص سرية إلى أضم وادٍ من أودية أشجع"(404) يشير الواقدي إلى أنها كانت بقوة ثمانية أفراد منهم عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي ومحلَّم بن جثَّامة الليثي، وكانوا تحت قيادة أبي قتادة بن ربعي ا (405). فخرجوا حتى إذا توسطوا وادي أضم، مرّ بهم رجل أشجعي يقال له عامر بن الأضبط على جمل له ومعه زاده ومتاعه، فسلم عليهم بتحية الإسلام فأمسك عنه القوم. "وحمل عليه محلم بن جثامة، فقتله لشيء كان بينه وبينه، وأخذبعيره، ومتاعه"(406) ويذكر الواقدي(407): أنهم لم يلقوا جمعًا، فانصرفوا راجعين حتى انتهوا إلى ذي خشب(408)، فبلغهم أن رسول الله ص قد توجه إلى مكة، فيمموا شطر مكة حتى لحقوا بالنبي ص بالسقيا(409).

404) ذكر الشــريف: أن وادي أضــم من أعظم أودية الحجاز، ويســمى اليوم وادي الحمض، وهو يســيل من الجنوب الشرقي لحرة خيبر، ويسير نحو الجنوب الغربي حتى يقارب (يثرب) المدينة. حيث تتصل به أودية فرعية منها وادي العقيق، ويتصــل به كذلك وادي القرى. وهو يســتمد مياهه من الســيول التي تنحدر إليه من العيون التي عند خيبر، ثم يتجه غربا حيث يصب في البحر الأحمر جنوب قرية الوجه، ويبلغ طول وادي الحمض زهاء (900) كيلو متر، الشريف، مكة والمدينة ، ص 26 .

405) الواقدي، مغازي (797/2)، وابن سعد، طبقات (133/2).

406) ابن هشام، سيرة (626/4)، البلاذري، أنساب ، ص385 ، البيهقي، دلائل (305/4).

407) انظر الواقدي، مغازي (797/2).

408) ذي خشب: وادٍ على مسيرة ليلة من المدينة. الحموي، معجم البلدان (372/2).

409) السقيا: قرية جامعة وهي في طريق مكة بينها وبين المدينة، وقال كثير: إنما سميت السقيا بما سقيت من الماء العذب وهي كثيرة الآبار والعيون والبرك، وبالسقيا مسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنب الجبل وعنده عين وهي تجري إلى صدقات الحسين، عليها نخل كثير.

انظر الحربي، المناســك ، ص 450 ، والبكري، المعجم (742-743/3)، وعبد الله بن خميس، المجاز بين اليمامة والحجاز (ص 296).

وتلاحقت أحداث الفتح، ثم غزوة حنين، وبينما فرغ رسول الله ص من صلاة الظهر، إذ "عمد إلى ظل شجرة فجلس تحتها، وهو بحنين، فقام إليه الأقرع بن حابس، وعيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر، يختصمان في عامر بن أضبط الأشجعي، عيينة يطلب بدم عامر، وهو يومئذ رئيس غطفان، والأقرع بن حابس يدفع عن محلم بن جثامة لمكانه من خندف، فتداولا الخصومة عند رسول الله ص "(410) "ثم ارتفعت الأصوات، وكثرت الخصومة واللغط"(411)، "فقال رسول الله ص لقوم عامر بن الأضبط الأشجعي: هل لكم أن تأخذوا منا خمسين بعيرا، وخمسين إذا رجعنا إلى المدينة؟ فقال عيينة بن بدر: والله لا أدعه حتى أذيق نساءه من الحرقة(412) مثل ما أذاق نسائي"."فقام رجل من بني ليث يقال له ابن مكيتل(413)، وهو قصد من الرجال، فقال: يا رسول الله، ما أجد لهذا القتيل مثلاً في غرة الإسلام(414)،

410) ابن هشام، سيرة (327/4).
411) البيهقي، دلائل (308/4).
412) الحرقة: التوجع والألم والحرارة. (اللسان: حرق).
413) مكيتل رجل قصير مجموع. انظر البنا، الفتح (50/16)، والبلاذري، أنساب ،ص 385 .
414) غرة الإسلام: أوله. ابن الأثير ، النهاية (354/3).

إلا كغنم وردت فرميت أولادها فنفرت أخراها، اسنن اليوم، وغيِّر غدًا، فقال رسول الله ص هل لكم أن تأخذوا خمسين بعيراً الآن، وخمسين إذا رجعنا إلى المدينة؟ فلم يزل بهم حتى رضوا بالدية، قال قوم محلم: ائتوا به حتى يستغفر له رسول الله ص قال: فجاء رجل طوال ضرب اللحم(415)

في حلة قد تهيأ فيها للقتل"(416)، "فجلس بين يدي رسول الله ص وعيناه تدمعان، فقال: يا رسول الله إني قد فعلت الذي بلغك وإني أتوب إلى الله، فاستغفر لي يا رسول الله. فقال رسول الله: أقتلته بسلاحك في غرة الإسلام: اللهم لا تغفر لمحلم. بصوت عال"(417)"فقام وإنه ليتلقى دموعه بطرف ثوبه"(418).قال راوي الحديث: "فأما نحن بيننا فنقول: قد استغفر له، ولكنه أظهر ما أظهر ليدع الناس بعضهم من بعض"(419)

415) ضرب اللحم: خفيفه. (القاموس: ضربه).
416) البيهقي، دلائل (3/306-307).
417) أبي داود، سنن (4/643).
418) البيهقي، دلائل (3/306-307).
419) الهيثمي، مجمع (7/8). البنا، الفتح الرباني (16/50)، وأبو داود، سنن (4/641-643)، وابن أبي شيبة، المصنف (4/548-547)، وابن هشام، سيرة (4/628-627)، والبلاذري، أنساب (385)، والبيهقي، سنن (9/116)، ودلائل (3/307-306).

وقد ذكر أصحاب المغازي أنه نزل فيه قوله تعالى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا [ سورة النساء:94] (420).

عن الحسن قال: "فو الله ما مكث محلم بن جثامة إلا سبعا حتى مات فلفظته -والذي نفس الحسن بيده- الأرض. ثم عاد والله فلفظته، فلما غل قومه عمدوا إلى صدَّين(421) فسطحوه(422) بينهما، ثم رضموا عليه الحجارة حتى واروه، قال: بلغ رسول الله ص شأنه، فقال: والله إن الأرض لتطابق على من هو شر منه، ولكن الله أراد أن يعظكم في حرم ما بينكم فيما أراكم منه"(423).

وفي لفظ الأرض لهذا القاتل بعد دفنه الزجر والتهديد والعظة ما يجعل دماء المسلمين من أعظم المحرمات التي لا يجوز التساهل فيها كما قال ه "ولكن الله أراد أن يعظكم ويريكم عظم الدم عنده".

---

420) اختلف في سبب نزول هذه الآية، وفيمن نزلت فيه اختلافا كبيرا. قال السهيلي: "وأما الذي نزلت فيه الآية {لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ} والاختلاف فيه شديد، فقيل اسمه فليت، وقيل: هو محلم كما تقدم، وقيل: زلت في المقداد بن عمرو، وقيل في أسامة، وقيل: في أبي الدرداء. ولا يستقيم نزولها في أسامة رضي الله عنه لأنه لم يكن مشركا بل ولد في الإسلام. واختلف أيضا في المقتول، فقيل: مرداس بن سهيل، وقيل: عامر بن الأضبط. والله أعلم. أنظر : الروض (529/7). والألباني، صحيح سنن الترمذي (40/3)، وقال عنه الألباني: صحيح، والحاكم، المستدرك (235/2).

421) صدَّين: جبلين صغيرين، (القاموس: صدّ).

422) فسطحوه بينهما: بسطوه وأضجعوه بينهما. (القاموس: السطح).

423) رواه ابن هشام، سيرة (628/4)، وابن أبي شيبة، المصنف (548/14-549)، والطبري، تفسير (72/9-73). السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة ، ص 274